

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء مكيّة
وآياتها اثنتا عشرة ومائة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {اَفْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ}.

يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، أجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسئلتهم إياهم ماذا عملوا فيها وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبتهم إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه والاستعداد له والتأهب، جهلاً منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الأهوال.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ قال أهل التأويل، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

18467- حدثنا محمد بن المثني، قال: حدثنا أبو الوليد، قال: ثني أبو معاوية، قال: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ قال: «في الدنيا»

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به وبعضهم، إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18468- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ... الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَدَىٰ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: لاهية قلوبهم غافلة، يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم. كما:

18469- حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ يقول: غافلة قلوبهم.

وقوله: وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا يقول: وأسّر هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم، النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم إلا بشئ منكم؟ يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله والتكذيب برسوله. ول «الذين» من قوله: وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله: أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله: وَأَسْرُوا النَّجْوَى من ذكر الناس، كما قيل: ثم عموا وصموا كثير منهم. وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا.

وقوله: أَقْتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ يقول: وأظهروا هذا القول بينهم، وهي النجوى التي أسروها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن كما: 18470_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَقْتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ قال: قاله أهل الكفر لنبئهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، قالوا: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

اختلفت القراء في قراءة قوله: «قُلْ رَبِّي» فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «قُلْ رَبِّي» على وجه الأمر. وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة: قَالَ رَبِّي على وجه الخبر. وكان الذين قرؤوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين أتأتون السحر وأنتم تبصرون: ربي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكان الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا: قال محمد: ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقتا المعنى وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: { بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن ولا أنه من عند الله، ولا أقروا بأنه وحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم بل قال بعضهم: هو أهويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فزيرة واختلاق افتراه واختلقه من قيل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر. فليأتنا يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا الذي يتلوه علينا وحى من الله أوجاه إلينا، بآية يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي، كما أرسل الأولون يقول: كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وكفاة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18471- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «أصغاث أحلام أي فعل حالم، إنهما هي رؤيا رآها. بل افتراه بل هو شاعر كل هذا قد كان منهم». وقوله: «فليأتنا بآية كما أرسل الأولون يقول: كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات، والرسل.

18472- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «أصغاث أحلام قال: مشتبهة.

18473- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: «أصغاث أحلام قال أهويلها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال تعالى ذكره: «بل قالوا ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ب «بل» لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب، فاجتزي بمعرفة السامعين بما دل عليه قوله «بل» من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: { مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ } .

يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذّبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عدّبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة. أفهم يؤمنون يقول: أفهؤلاء المكذّبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون به إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18474- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «أهلكناها أفهم يؤمنون يصدّقون بذلك.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18475- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ما آمنت قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَقْبَهُمْ يُؤْمِنُونَ أي الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يُنظرو.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحى إليهم ما نريد أن نوحى إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم؟ وقوله: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم «هل هذا إلا بشر مثلكم»: فإن أنكرتهم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم كما:

18476- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون يقول: فاسألوا أهل التوراة والإنجيل قال أبو جعفر: أراه أنا قال: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق.

وقيل: أهل الذكر: أهل القرآن. ذكر من قال ذلك:

18477- حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: ثنا موسى بن عثمان، عن جابر الجعفي، قال: لما نزلت: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون قال علي: نحن أهل الذكر.

18478- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون قال: أهل القرآن، والذكر: القرآن. وقرأ: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك، جسدا لا يأكلون الطعام يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام. كما: 18479- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام.

18480- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يقول: لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام.

قال أبو جعفر: وقال وما جعلناهم جسدا فوجد «الجسد» وجعله موحدا، وهو من صفة الجماعة، وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خلقا لا يأكلون.

وقوله: وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ يَقُول: ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قد أخبر الله عنهم: لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا... إلى قوله: أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ: مَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَحَدٍ قَبْلِكُمْ فَفَعَلْ بِكُمْ، وإنما كنا نرسل إليهم رجالاً نوحى إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحى إليه أمرنا ونهينا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18481- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ: أي لا بد لهم من الموت أن يموتوا.

الآية : 9

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات، فأتيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربه بعد مجيء الآية التي سألوا. وذلك كقوله جل ثناؤه: فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وكقوله: وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ونحو ذلك من المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات. وقوله: فَأَنْجَيْنَاهُمْ يَقول تعالى ذكره: فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات، وَمَنْ نَشَاءُ وهم أتباعها الذين صدقوها وأمنوا بها. وقوله: «وأهلكنا المسرفين» يقول تعالى ذكره: «وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربه، كما:

18482- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ وَالْمُسْرِفُونَ: هم المشركون.

الآية : 10

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه، لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم، فيه حديثكم. ذكر من قال ذلك:

18483- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قوله: فِيهِ ذِكْرُكُمْ قَالَ: حديثكم.

18484- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ قَالَ: حديثكم: أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالَ: «قد أفلح» بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ.

18485- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا سفيان: نزل القرآن بمكارم الأخلاق، ألم تسمعه يقول: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟

وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم.

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

الآية : 11- 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَئِنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية. والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانْقَصَمْتُ بَيْنَهُ: إذا انكسرت. وهو ههنا معنيّ به «أهلكنا»، وكذلك تأوّل أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18486- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {وَكَمْ قَصَمْنَا} قال: أهلكنا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ} قال: أهلكناها.

قال ابن جريج: قصمنا من قرية، قال: باليمن، قصمنا، بالسيف أهلكوا. 18487- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: {قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ} قال: قصمها أهلكها.

وقوله: {مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً} أجرى الكلام على القرية، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه. وكان ظلّمها كُفّرُها بالله وتكذيبها رسوله. وقوله: {وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ} يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم.

وقوله: {فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَئِنَا} يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسّه، يقال منه: قد أَحْسَسْتُ من فلان ضعفا، وَأَحْسَنُهُ منه. إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ يقول: إذا هم مما أَحْسَسُوا بِأَسَئِنَا النازل بهم يهربون سراعا عَجَلَى يَعْذُونَ منهزمين، يقال منه: ركض فلان قَرَسَهُ: إذا كدّه بسياقته.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه: يقول: إلى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم كما:

18488- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: {لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ تُسْأَلُونَ} يعني من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصي الله من الأمم.

18489- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {لَا تَرْكُضُوا} لا تفرّوا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18490- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: {وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ} يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها.

18491- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر, عن قتادة: **وَازْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ قَالَ: إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ** من دنياكم.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: **لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ** فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة. ذكر من قال ذلك:

18492- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: **لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ** قال: تفقهون. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: **لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ** قال: تفقهون.

وقال آخرون: بل معناه لعلكم تستلون من دنياكم شيئا على وجه السخرية والاستهزاء. ذكر من قال ذلك:

18493- حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: **لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ** استهزاء بهم.

حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: **لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ** من دنياكم شيئا, استهزاء بهم.

الآية : 14 - 15

القول في تأويل قوله تعالى: **{ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ }**.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا برينا فما زالت تلك دعواهم يقول: فلم تزل دعواهم, حين أتاهم بأس الله, بظلمهم أنفسهم: يا ويلنا **إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** حتى قتلهم الله, فحصدهم بالسيف كما يُحصد الزرع ويستأصل قطعاً بالمناجل. وقوله: **خَامِدِينَ** يقول: هالكين قد انطفأت شرارتهم, وسكنت حركتهم, فصاروا همودا كما تخدم النار فتطفأ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18494- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ... الآية**. فلما رأوا العذاب وعابنوه لم يكن لهم هجيري إلا قولهم: يا ويلنا **إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: **قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** يقول: حتى هلكوا.

18495- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال ابن عباس: **حَصِيدًا** الحصاد. **خَامِدِينَ** خمود النار إذا طفتت.

18496- حدثنا سعيد بن الربيع, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: إنهم كانوا أهل حصون, وإن الله بعث عليهم بختنصر, فبعث إليهم جيشا فقتلهم بالسيف, وقتلوا نبيا لهم فحصدوا بالسيف, وذلك قوله: **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** بالسيف.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }**.

يقول تعالى ذكره: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا حِجَّةَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهة إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يَخْلُقْ ذَلِكَ عَبَثًا وَلَعِبًا. كما:

18497- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ يَقُولُ: مَا خَلَقْنَاهُمَا عَبَثًا وَلَا بَاطِلًا.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَلَّخَدْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ}.

يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكننا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18498- حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيداني، قال: حدثنا أبو قتيبة، قال: حدثنا سلام بن مسكين، قال: حدثنا عقبة بن أبي حمزة، قال: شهدت الحسن بمكة، قال: وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَلَّخَدْنَاهُ قَالَ الْحَسَنُ: اللَّهُوَ: الْمَرْأَةُ.

18499- حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: حدثنا بقر بن الوليد، عن علي بن هارون، عن محمد، عن ليث، عن مجاهد في قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا قَالَ: زَوْجَةٌ.

18500- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا... الآية، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا قَالَ: اللَّهُوَ فِي بَعْضِ لُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ: الْمَرْأَةُ. لِأَنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ.

18501- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ يَقُولُ: مَا كُنَّا فَاعِلِينَ.

18502- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قالوا مريم صاحبتة، وعيسى ولده، فقال تبارك وتعالى: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا نَسَاءً وَوَلَدًا، لِأَنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ قَالَ: مَنْ عِنْدَنَا، وَلَا خَلَقْنَا جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا مَوْتَ وَلَا بَعَثًا وَلَا حِسَابًا.

18503- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: لِأَنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ مَنْ عِنْدَنَا، وَمَا خَلَقْنَا جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا مَوْتَ وَلَا بَعَثًا.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ولكن نزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فَيَدْمَعُهُ يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجّه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

وقوله فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ يقول: فإذا هو هالك مضمحل كما:
18504- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ قال: هالك.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ قال: ذاهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18505- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ والحق كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ أي ذاهب.
وقوله: وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفريتكم عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون. وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون. وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته. غير أن أولى العبارات أن يُعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه. ذكر من قال ما قلنا في ذلك:

18506- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ أي تكذبون.

18507- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ قال: تشركون وقوله عَمَّا يَصِفُونَ قال: يشركون قال: وقال مجاهد: سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ قال: قولهم الكذب في ذلك.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا، وله مُلك جميع من في السموات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يَعْيُونَ من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبه، وكل من في السموات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18508- حدثنا علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ لا يرجعون.

18509- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ لا يحسرون.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18510- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ قال: لا يُعيون.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ قال: لا يعيون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

18511- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ قال: لا يستحسرون، لا يملون ذلك الاستحسار، قال: ولا يفترون، ولا يسأمون.

هذا كله معناه واحد والكلام مختلف، وهو من قولهم: بعير حَسِير: إذا أعيأ وقام ومنه قول علقمة بن عبدة:

يَهَا حَيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا قَبِيضٌ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ

الآية : 20 و 21

القول في تأويل قوله تعالى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْئُتُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ} .

يقول تعالى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عندهم من ملائكة ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم إياه. كما:

18512- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلية، قال: أخبرنا حميد، عن

إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْئُتُونَ و «يسبحون الليل والنهار لا يسأمون» فقال: هل يتودك طرفك؟ هل يتودك نفسك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطير والنفس.

18513- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني أبو معاوية، عن

أبي إسحاق الشيباني، عن حسان بن مخارق، عن عبد الله بن الحارث، قال: قلت: لكعب الأحمار: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْئُتُونَ أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا ابن أخي إنهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس، ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتقع وتجيء وتذهب وأنت تنفس؟ قلت: بلى قال: فكَذَلِكَ جُعِلَ لَهُمُ التَّسْبِيحُ.

18514- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن وأبو داود، قال: حدثنا

عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمر، قال: إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزءاً سائر الخلق. وجزءاً الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزءاً لرسالته. وجزءاً الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن وجزءاً سائر بني آدم. وجزءاً بني آدم عشرة أجزاء، فجعل ياجوج وماجوج تسعة أجزاء وجزءاً سائر بني آدم.

18515- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْئُتُونَ يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها. وذكّر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ قال: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟»

قالوا: ما نسمع من شيء يا نبي الله قال: «إِنِّي لِأَسْمَعُ أَطِيبَ السَّمَاءِ، وَمَا تِلْكَ أَنْ تَبْطُ وَلَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ رَاحَةٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ». وقوله: أم اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون يعني بقوله «هم»: الآلهة. يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت. كما:

18516- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: يُنْشِرُونَ يقول: يُحْيُونَ.

18517- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أم اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ يقول: أفي ألهم أحد يحيي ذلك يُنْشِرُونَ؟ وقرأ قول الله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... إلى قوله: ما لكم كيف تحكمون.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}. يقول تعالى ذكره: لو كان في السموات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهة التي لا تصلح إلا له لَفَسَدَتَا يقول: لفسد أهل السموات والأرض. فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفترى به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب. كما:

18518- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}. يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصرفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال وغير ذلك من حكمه فيهم لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ وَهُمْ يُسْأَلُونَ يقول جل ثناؤه: وجميع من في السموات والأرض من عباده مسؤولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك وبحاسبهم عليه لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18519- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ يقول: لا يسأل عما يفعل بعباده، وهم يُسْأَلُونَ عن أعمالهم.

18520- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قوله: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ قال: لا يسأل الخالق عن قضائه في خلقه، وهو يسأل الخلق عن عملهم.

18521- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُّونَ قَالَ:
لا يسئل الخالق عما يقضي في خلقه, والخلق مسؤولون عن أعمالهم.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر
وتخلق وتحيي وتميت؟ قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم يعني حجتكم
يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلاً
على صدقكم. كما:

18522- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ يَقُولُ: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

وقوله: هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ يَقُولُ: هذا الذي جئتمكم به من عند الله من
القرآن والتنزيل, ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ يَقُولُ: خبر من معي مما لهم من ثواب الله
على إيمانهم به وطاعتهم إياه وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم
إياه وكفرهم به. وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي يَقُولُ: وخبر من قبلي من الأمم التي
سلفت قبلي, وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة.
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18523- حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة,
قوله: هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ يَقُولُ: هذا القرآن فيه ذكر الجلال والحرام. وَذِكْرٌ
مَنْ قَبْلِي يَقُولُ: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم وإلى ما
صاروا.

18524- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن
جريج « هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ قَالَ: حديث من معي, وحديث من قبلي.
وقوله: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ يَقُولُ: بل أكثر هؤلاء المشركين لا
يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون, فهم معرضون عن
الحق جهلاً منهم به وقلة فهم.
وكان قتادة يقول في ذلك ما:

18525- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ عن كتاب الله.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي
إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من
الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السموات والأرض تصلح العبادة له
سواي فاعبُدون يقول: فأخلصوا لي العبادة, وأفردوا لي الألوهة.
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18526- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }
قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد, لا يقبل منهم قال أبو جعفر: أظنه

أنا قال عمل حتى يقولوه ويقرّوا به والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي القرآن شريعة حلال وحرام. وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

الآية : 26 و 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا وتبرّيا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك: ما ذلك من صفته بلّ عبادٌ مُكْرَمُونَ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون يقول: أكرمهم الله. كما:

18527- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة. قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم: بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ وَإِن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم بعبادته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة. وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا قالت اليهود وطوائف من الناس: إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجنّ والملائكة من الجنّ قال الله تبارك وتعالى: سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ.

وقوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ يقول جل ثناؤه: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً إلا به.

18528- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ يُنْبئ عليهم « وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ».

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون، وَمَا خَلْفَهُمْ يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا: ذلك كله مُخَصَّصٌ لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18529- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ يقول: يعلم ما قدّموا وما أضاعوا من أعمالهم.

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى يقول: ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18530- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى يَقول: الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله.

18531- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى قال: لمن رضي عنه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18532- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى يوم القيامة، وَهُمْ مِنْ حَسْبِيَّةٍ مُشْفِقُونَ. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة يقول: ولا يشفعون يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله. وقوله: وَهُمْ مِنْ حَسْبِيَّةٍ مُشْفِقُونَ يقول: وهم من خوف الله وحقار عقابه أن يحلّ بهم مشفقون، يقول: حذرون أن يعصوه وبخالفوا أمره ونهيه.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ تَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة إنني إله من دون الله، فذلك الذي يقول ذلك منهم تَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ يقول: تشبيهه على قيله ذلك جهنم. كذلك تَجْزِي الظَّالِمِينَ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إنني إله من دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه فكفر بالله وعبد غيره. وقيل: عني بهذه الآية إبليس. وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك، لأنه لا أحد من الملائكة قال إنني إله من دون الله سواه ذكر من قال ذلك:

18533- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فلم يقله إلا إبليس دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت هذه في إبليس.

18534- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ تَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيماً، فقال: فَذَلِكَ تَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ.

18535- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ تَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ قال: هي خاصة لإبليس.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رَتْقًا: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شدّه، فهو يرتقه

رَتَّقَا وَرَتُّوqَا وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْمَرْءِ الَّتِي فَرَجَهَا مَلْتَحِمٌ: رَتَّقَاءٌ. وَوَحْدَ الرَّتَّقِ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَقَدْ جَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ: كَاتَّتَا لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، مِثْلُ قَوْلِ الرَّوْرِ وَالصَّوْمِ وَالْفَطْرِ.

وقوله: فَفَتَّقْنَاهُمَا يَقُولُ: فَصَدَعْنَاهُمَا وَفَرَجْنَاهُمَا.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق، وكيف كان الرتق، وبأي معنى فتق؟ فقال بعضهم: عَنَى بِذَلِكَ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا مَلْتَصِقَتَيْنِ فَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِالْهَوَاءِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

18536- حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ، عَنِ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتَّتَا رَتَّقًا يَقُولُ: مَلْتَصِقَتَيْنِ.

18537- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتَّتَا رَتَّقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا... الْآيَةَ، يَقُولُ: كَاتَّتَا مَلْتَصِقَتَيْنِ، فَرَفَعَ السَّمَاءَ وَوَضَعَ الْأَرْضَ.

18538- حَدَّثَتْ عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتَّتَا رَتَّقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَاتَّتَا مَلْتَزِقَتَيْنِ، فَفَتَّقَهُمَا اللَّهُ.

18539- حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنِ قَتَادَةَ: أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتَّتَا رَتَّقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ يَقُولَانِ: كَاتَّتَا جَمِيعًا، فَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْهَوَاءِ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها الله فجعلها سبع سموات. وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها فجعلها سبع أرضين ذكر من قال ذلك:

18540- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنِ مَجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: رَتَّقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا مِنَ الْأَرْضِ سَبْعَ أَرْضِينَ مَعَهَا فَتْلِكَ سَبْعَ أَرْضِينَ مَعَهَا، وَمِنَ السَّمَاءِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مَعَهَا فَتْلِكَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مَعَهَا. قَالَ: وَلَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ مَتَمَاسَّتَيْنِ.

18541- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنِ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنِ مَجَاهِدٍ: رَتَّقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا قَالَ: فَتَقَهْرَنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، وَسَبْعَ أَرْضِينَ بَعْضُهُنَّ تَحْتَ بَعْضٍ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ مَجَاهِدٍ نَحْوَ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ أَبِي عَاصِمٍ.

18542- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بِيَانٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ، عَنِ إِسْمَاعِيلِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنِ قَوْلِهِ: كَاتَّتَا رَتَّقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا قَالَ: كَانَتِ الْأَرْضُ رَتَّقًا وَالسَّمَوَاتُ رَتَّقًا، فَفَتَّقَ مِنَ السَّمَاءِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَمِنَ الْأَرْضِ سَبْعَ أَرْضِينَ.

18543- حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّدِيِّ، قَالَ: كَانَتِ سَمَاءٌ وَاحِدَةً ثُمَّ فَتَقَهَا، فَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ، فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ

خلق السموات والأرض, فذلك حين يقول: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن السموات كانت رتقا لا تمطر والأرض كذلك رتقا لا تنبت, ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. ذكر من قال ذلك:

18544- حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا قَالَ: كَانَتْ رَتْقًا لَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا شَيْءٌ, فَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ وَفَتَقَ الْأَرْضَ بِالنباتِ. قَالَ: وَهُوَ قَوْلُهُ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ.

18545- حدثني الحسين بن عليّ الصدائي, قال: حدثنا أبي, عن الفضيل بن مرزوق, عن عطية, في قوله: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا قَالَ: كَانَتْ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تَمْطُرُ وَالْأَرْضُ رَتْقًا لَا تَنْبِتُ, فَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ وَفَتَقَ الْأَرْضَ بِالنباتِ وَجَعَلَ مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا, أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟

18546- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا قَالَ: كَانَتْ السَّمَوَاتُ رَتْقًا لَا يَنْزِلُ مِنْهَا مَطَرٌ, وَكَانَتْ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا نَبَاتٌ, فَفَتَقَهُمَا اللَّهُ, فَأَنْزَلَ مَطَرَ السَّمَاءِ, وَشَقَّ الْأَرْضَ فَأَخْرَجَ نَبَاتَهَا. وَقَرَأَ: فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وقال آخرون: إنما قيل فَفَتَقْنَاهُمَا لأن الليل كان قبل النهار, ففتق النهار. ذكر من قال ذلك:

18547- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن أبيه, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: خلق الليل قبل النهار. ثم قال: كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِي كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا مِنَ الْمَطَرِ وَالنباتِ, فَفَتَقْنَا السَّمَاءَ بِالغَيْثِ وَالْأَرْضَ بِالنباتِ. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا عَلَى ذَلِكَ, وَأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَعْقِبْ ذَلِكَ بِوصفِ الْمَاءِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا الَّذِي تَقَدَّمَهُ مِنْ ذِكْرِ أَسْبَابِهِ.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك, فكيف قيل: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا, والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه, قد قال قوم: إنما ينزل من السماء السابعة, وقال آخرون: من السماء الرابعة, ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا, لم يكن في قوله: أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ دَلِيلٌ عَلَى خِلَافِ مَا قُلْنَا, لِأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ «السَّمَوَاتُ» وَالْمُرَادُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ فَتَجْمَعُ, لِأَنَّ كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهَا سَمَاءٌ, كَمَا يُقَالُ: ثَوْبٌ أَخْلَاقٌ, وَقَمِيصٌ أَسْمَالٌ.

فإن قال قائل: وكيف قيل إن السموات والأرض كانتا, فالسموات جمع, وحكم جمع الإناث أن يقال في قليلة كنّ, وفي كثيره كانت؟ قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنهما صنفان, فالسموات نوع, والأرض آخر وذلك نظير قول الأسود بن يعفر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحَنُوفَ كِلَاهُمَا تُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي

فقال: «كلاهما»، وقد ذكر المنية والحتوف لِمَا وصفت من أنه عنى النوعين. وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: أنشدني غالب النفيلي للقطامي:

أَلَمْ يَخْزُنْكَ أَنَّ جِبَالَ قَيْسِيَّوَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَّا انْقِطَاعًا

فجعل جبال قيس وهي جمع وجبال تغلب وهي جمع اثنين. وقوله: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي نزله من السماء كل شيء. كما:

18548- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ. فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حي ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهن وأن في ذوات الأرواح أرواحا فلذلك قيل: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ.

وقوله: أَفَلَا يُؤْمِنُونَ يقول: أفلا يصدقون بذلك، ويقرّون بالوهة من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة؟

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حجنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبالاً راسية؟ والرواسي: جمع راسية، وهي الثابتة كما:

18549- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَي جِبَالًا.

وقوله: أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ يقول: أن لا تتكفأ بهم. يقول جليل ثناؤه: فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها. كما:

18550- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا يعني مسالك، واحدها فجج. كما:

18551- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا: أي أعلاما. وقوله: سُبُلًا أَي طرقا، وهي جمع السبيل. وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول: إنما عنى بقوله: وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا وجعلنا في الرواسي، فالهاء والألف في قوله: وَجَعَلْنَا فِيهَا من ذكر الرواسي.

18552- حدثنا بذلك القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا، قال: بين الجبال.

وإنما اخترنا القول الآخر في ذلك وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض، لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل وذلك أن ذلك كله من الأرض، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجاً سبلاً. ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلاً دون بعض، فالعموم بها أولى.

وقوله: لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهدوا إلى السير فيها.

الآية : 32 و 33

القول في تأويل قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا للأرض مسموكاً. وقوله: مَحْفُوظًا يقول: حفظناها من كلِّ شيطان رجيم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18553- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: سَقْفًا مَحْفُوظًا قال: مرفوعاً. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18554- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا... الآية: سقفا مرفوعاً، وموجاً مكفوفاً.

وقوله: وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ يقول: هؤلاء المشركون عن آيات السماء، ويعني آياتها: شمسها وقمرها ونجومها. مُعْرَضُونَ يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء، ويعني آياتها: شمسها وقمرها ونجومها. مُعْرَضُونَ يقول: يعرضون عن التفكير فيها وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ودلالاتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها، ولا تصلح إلا له.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18555- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ قال: الشمس والقمر والنجوم آيات السماء.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. وقوله: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم وحجة ودلالة على عظيم سلطانه وأن الألوهة له دون كلِّ ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضاً كلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يقول: كلٌّ ذلك في فلك يسبحون.

واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرّحى. ذكر من قال ذلك:

18556- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: فلك كهيئة حديدة الرحي.

18557- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح: كُلُّ فِي فَلَكٍ قال: فلك كهيئة حديدة الرحي.

18558- حدثنا ابن حميد, قال: ثني جريح, عن قابوس بن أبي ظبيان, عن أبيه, عن ابن عباس: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: فلك السماء.

وقال آخرون: بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها. ذكر من قال ذلك:

18559- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول قى قوله: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ الفلك: الجري والسرعة.

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه. وقال آخرون: بل هو القطب الذي تدور به النجوم. واستشهد قائل هذا القول له هذا بقول الراجز:

بَاتَتْ تُنَاجِي الْفَلَكَ الدَّوَّارَاتِي الصَّبَاحِ تَعْمَلُ الْأَقْتَارَا
وقال آخرون في ذلك, ما:

18560- حدثنا به بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ: أي في فلك السماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: يجري في فلك السماء كما رأيت.

18561- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر. وقرأ: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض. كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ قال: فيما بين السماء والأرض: النجوم والشمس والقمر.

وذكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل. والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحي, وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحي, وجائز أن يكون موجا مكفوفًا, وأن يكون قطب السماء. وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر, فجمعه أفلاك, وقد ذكرت قول الراجز:

بَاتَتْ تُنَاجِي الْفَلَكَ الدَّوَّارَا

وإذا كان كل ما دار في كلامها, ولم يكن في كتاب الله ولا في خير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمن يُقطع بقوله العذر, دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قال ونسكت عما لا علم لنا به.

فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا, فتأويل الكلام: والشمس والقمر, كل ذلك في دائر يسبحون.

وأما قوله: يَسْبَحُونَ فإن معناه: يَجْرُونَ. ذكر من قال ذلك:

18562- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** قال: يجرون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18563- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **يَسْبَحُونَ** قال: يجرون. وقيل: **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون, ولم يقل: «يسبحن» أو «تسبح», كما قيل: **وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** لأن السجود من أفعال بني آدم, فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم.

الآية : 34 و 35

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }**.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها, ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رُسُلنا. **أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك؟ لا, ما ذلك كذلك, بل هم ميتون بكل حال عشت أو متَّ فأدخلت الفاء في «إن» وهي جزاء, وفي جوابه لأن الجزاء متصل بكلام قبله, ودخلت أيضا في قوله «فهم» لأنه جواب للجزاء, ولو لم يكن في قوله «فهم» الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة وهي مرادة, والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء, فكانه قال: أفهم الخالدون إن متَّ.

وقوله: **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه, معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها.

وقوله: **وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ** يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشَّرِّ وهو الشدة نبتليكم بها, وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18564- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين: قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: **وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ** قال: بالرخاء والشدة, وكلاهما بلاء.

18565- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ** يقول: نبلوكم بالشَّرِّ بلاء, والخير فتنة وإلينا تُرْجَعُونَ.

18566- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** قال: نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون, وكيف صبرهم فيما يكرهون.

18567- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ** يقول: بتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة.
وقوله: **وَالَيْنَا تُرْجَعُونَ** يقول: وإلينا يردون فيجازون بأعمالهم، حسنها وسيئها.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَإِذَا رَأَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ }**.
يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: **وَإِذَا رَأَآكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوا** يقول: ما يتخذونك إلا سخرياً يقول بعضهم لبعض: **أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ** يعني بقوله: يذكركم بسوء وبعيبيها، تعجباً منهم من ذلك. يقول الله تعالى ذكره: **فيعجبون من ذكرك يا محمد ألهتهم التي لا تضُرُّ ولا تنفع بسوء. وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنعَمَ عَلَيْهِمْ، وَمَن تَفْعُهُمْ، وَبِيَدِهِ ضَرْهُمُ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ** بما هو أهله منهم أن يذكروه به **كَافِرُونَ** والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا، وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح وبعيبيه ومن ذلك قول عنتره:

لا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطَعْمُهُفِيَكُونَ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ
يعني بذلك: لا تعيبي مُهْرِي. وسمعناه يُذكر بخير.

الآية : 37 و 38

القول في تأويل قوله تعالى: **{ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }**.
يقول تعالى ذكره: **خُلِقَ الإِنْسَانُ** يعني آدم من عَجَلٍ. واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: من عَجَلٍ في بنيته وخلقته كان من العجلة، وعلى العجلة. ذكر من قال ذلك:

18568- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد في قوله: **خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ** قال: لما نفخ فيه الروح في ركبتيه ذهب لينهض، فقال الله: **خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**.

18569- حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما نُفِخَ فيه يعني في آدم الروح، فدخل في رأسه عطس، فقالت الملائكة: **قل الحمد لله فقال: الحمد لله**. فقال الله له: **رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه انتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول: خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ** يقول: خلق الإنسان عجولاً.

18570- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: **خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ** قال: خلق عجولاً.

وقال آخرون: معناه: خلق الإنسان من عجل، أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل. وقالوا: خلقه الله في آخر النهار

يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها.
ذكر من قال ذلك:

18571- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ, قال: قول آدم حين خُلِقَ بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق, فلما أحيا الروح عينية ولسانه ورأسه ولم تبلغ أسفله, قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب بالشمس.

حدثني الحارث, قال حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: قال مجاهد: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ قال آدم حين خُلِقَ بعد كل شيء ثم ذكر نحوه, غير أنه قال في حديثه: استعجل بخلقى فقد غربت الشمس.

18572- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ قال: على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين, يريد يوم الجمعة, وخلقه على عجل, وجعله عجولاً.

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة: إنما قال: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ وهو يعني أنه خلقه من تعجيل من الأمر, لأنه قال: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ قال: فهذا العجل. وقوله: فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ إِنِّي سَارِيكُمْ آيَاتِي.

وعلى قول صاحب هذه المقالة, يجب أن يكون كل خلق الله خلقاً على عجل, لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان.

فإذا كان ذلك كذلك, فما وجه خصوص الإنسان إذا بذكر أنه خلق من عجل دون الأشياء كلها وكلها مخلوق من عجل؟ وفي خصوص الله تعالى ذكره الإنسان بذلك الدليل الواضح, على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة.

وقال آخرون منهم: هذا من المقلوب, وإنما خلق العَجَل من الإنسان, وُخِلِقَتْ لِلْعَجَلَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ. وقالوا: ذلك مثل قوله: مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إنما هو: لَتَنُوءَ الْعُصْبَةُ بِهَا مَتَاقِلَةٌ. وقالوا: هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور. قالوا: وإنما كلم القوم بما يعقلون. قالوا: وذلك مثل قولهم: عَرَضَتْ النَاقَةُ, وكقولهم: إِذَا طَلَعَتِ الشَّعْرَى وَاسْتَوَتْ الْعُودُ عَلَى الْجِرْبَاءِ أَيْ اسْتَوَتْ الْحِرْبَاءُ عَلَى الْعُودِ, كقول الشاعر:

وَتَرَكَبْتُ حَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرِمَاحُ بِالصِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ
وكقول ابن مقبل:

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ أَحْدُهُ قَرْدًا يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُقَدِّينَا
يريد: حسرت السربال عن كفي, ونحو ذلك من المقلوب. وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول, الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عن قال معناه: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ في خلقه أي على عجل وسرعة

في ذلك. وإنما قيل ذلك كذلك, لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة, وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب, لدلالة قوله تعالى: سَارِبِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ, وأن أبا كريب:

18573- حدثنا قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لِسَاعَةً» يُقَلَّلُهَا, قال: «لَا يَوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا حَيْرًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي, هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة. قال الله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَارِبِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسير بن عمرو, عن محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو سلمة, عن أبي هريرة, عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه, وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

فتاويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ, ولذلك يستعجل ربه بالعذاب. سَارِبِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: بل هو شاعر, فليأتنا بآية كما أرسل الأولون آياتي, كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكتها بتكذيبها الرسل, إذا أتتها الآيات: فلا تَسْتَعْجِلُونَ يقول: فلا تستعجلوا ربكم, فإننا سنأتيكم بها ونريكموها.

واختلفت القراء في قراءة قوله: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ فقراءته عامة قراء الأمصار: خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ بضم الخاء على مذهب ما لم يسم فاعله. وقراء حميد الأعرج: «خَلَقَ» بفتحها, بمعنى: خلق الله الإنسان. والقراءة التي عليها قراء الأمصار, هي القراءة التي لا أستجيز خلافها.

وقوله: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم: متى هذا الوعد؟ يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك؟ وقيل: هَذَا الْوَعْدُ والمعنى الموعود لمعرفة السامعين معناه. وقيل: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به. و«متى» في موضع نصب, لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأي يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار, وهم فيها كالخون, فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها, ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم, فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله, ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله, ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تطفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبتهتهم يقول: فتغشاهم فجأة، وتطفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه. فلا يستطيعون ردها يقول: فلا يطبقون حين تبغتهم فتبتهتهم دفعها عن أنفسهم. ولا هم يُنظَرُونَ يقول: ولا هم وإن لم يطبقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها وإثابة ينيبون، لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإثابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر ألهتكم كفرًا منهم بالله، واجترأ عليه. فلقد استهزىء برسول من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزءون يقول جل ثناؤه: حل بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسالهم تخوفهم نزوله بهم، يستهزءون: يقول جل ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تطفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبتهتهم يقول: فتغشاهم فجأة، وتطفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه. فلا يستطيعون ردها يقول: فلا يطبقون حين تبغتهم فتبتهتهم دفعها عن أنفسهم. ولا هم يُنظَرُونَ يقول: ولا هم وإن لم يطبقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها وإثابة ينيبون، لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإثابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر ألهتكم كفرًا منهم بالله، واجترأ عليه. فلقد استهزىء برسول من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من

أممهم ما كانوا به يَسْتَهْزِءُونَ يقول جل ثناؤه: حلّ بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسالهم تخوفهم نزوله بهم، يستهزءون: يقول جل ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ } .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المستعجلينك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين: مَنْ يَكْلُوكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ، يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نتمتم، وبالنهـار إذا تصرّفتـم من الرحمن؟ يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم. وترك ذكر «الأمر» وقيل «من الرحمن» اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18574- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس، في قوله: قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ قال: يحرسكم.

18575- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن.

يقال منه: كَلَأَتِ الْقَوْمِ: إذا حرستهم، أكلوهم كما قال ابن هرمة:

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُوها صَبَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرَرُ وُها

قوله: بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ وقوله بل: تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضوع ظاهرا. ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كاليء لهم من أمر الله إذا هو حلّ بهم ليلاً أو نهاراً، بل هم عن ذكر مواظ ربهم وحججه التي احتجّ بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلاً منهم وسفهاً.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى: { أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّنْ يُصْحَبُونَ } .

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحلنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا؟ ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال: وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها. وقوله: وَلَا هُمْ مِمَّنْ يُصْحَبُونَ اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، وفي معنى «يُصْحَبُونَ»، فقال بعضهم: عني بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير. ذكر من قال ذلك:

18576- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ يعني الآلهة. وَلَا هُمْ مِمَّنْ يُصْحَبُونَ يقول: لا يُصْحَبُونَ من الله بخير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا هم منا ينصرون. ذكر من قال ذلك:

18577- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا أبو ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ قال: لا ينصرون.
18578- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا إِلَى قَوْلِهِ: يُصْحَبُونَ قال: ينصرون. قال: قال مجاهد: ولا هم يُحفظون.
18579- حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ يُجَارُونَ... ذكر من قال ذلك:

18580- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ يقول: ولا هم منا يجارون, وهو قوله: وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ يَعْنِي الصَّاحِبَ, وَهُوَ الْإِنْسَانُ يَكُونُ لَهُ خَفِيرٌ مِّمَّا يَخَافُ, فَهُوَ قَوْلُهُ يَصْحَبُونَ.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس, وأن هُم من قوله: وَلَا هُمْ مِنْ ذِكْرِ الْكُفَّارِ, وَأَنْ قَوْلُهُ: يُصْحَبُونَ بِمَعْنَى: يُجَارُونَ يُصْحَبُونَ بِالْجَوَارِ لِأَنَّ الْعَرَبَ مُحَكِّيًا عَنْهَا: أَنَا لَكَ جَارٌ مِنْ فُلَانٍ وَصَاحِبٌ, بِمَعْنَى: أَجِيرُكَ وَأَمْنَعُكَ, وَهَمَّ إِذَا لَمْ يَصْحَبُوا بِالْجَوَارِ, وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَانِعٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَعَ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ, فَلَمْ يَصْحَبُوا بِخَيْرٍ وَلَمْ يَنْصُرُوا.

الآية: 44

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَيَاتٍ طَالٍ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ } .
يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا, ولا جار يجيرهم من عذابنا, إذا نحن أردنا عذابهم, فاتكلوا على ذلك, وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك ولكننا متعنناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر, وهم على كفرهم مقيمون, لا تأتيهم منا واعظة من عذاب ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا وعبادتهم الأوثان والأصنام, فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم, ولم يعرفوا موضع الشكر. وقوله: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلو بالعذاب, أنا نأتي الأرض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها, وعَلَبَتْنَاهُمْ, وإجلانهم عنها, وقتلهم بالسيوف, فيعتبروا بذلك ويتعظوا به, ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف؟ وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفه بالروايات عنهم في سورة الرعد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

وقوله: أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب الغالبونا, وقد رأوا قهرنا من أحلنا بساحتهم بأسنا في أطراف الأرضين؟ ليس ذلك كذلك, بل نحن الغالبون. وإنما هذا تقرير من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم, يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه, وقد قهر من ناواه من أهل أطراف الأرض غيرهم؟ كما:

18581- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **أَقْهَمُ الْغَالِبُونَ يَقُولُ: لَيْسُوا بِغَالِبِينَ, وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْغَالِبُ.**

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون: إنما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحيه إلى من عنده, وأخوِّفكم به بأسه. كما:

18582- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ أَي بِهَذَا الْقُرْآنِ.**

وقوله: **وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ** اختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء الأمصار: **وَلَا يَسْمَعُ** بفتح الياء من «يَسْمَعُ» بمعنى أنه فعل للصم, و«الصم» حينئذ مرفوعون. وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ: «وَلَا تُسْمَعُ» بالتاء وضمها, فالصم على هذه القراءة مرفوعة, لأن قوله: «وَلَا تُسْمَعُ» لم يسم فاعله, ومعناه على هذه القراءة: ولا يسمع الله الصم الدعاء.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه. ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر, فيتذكر به ويعتبر, فينجز عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تلى عليه وأريد به ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكير فيه, فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18583- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: **وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ يَقُولُ: إِنْ الْكَافِرَ قَدْ صَمَّ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا يَسْمَعُهُ, وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَا يَعْقِلُهُ, كَمَا يَسْمَعُهُ الْمُؤْمِنُ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ.**

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَيْنَ مَسْتَنَّهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك, يعني بالنفحة النصيب والحظ, من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسماً أو نصيباً من المال. كما:

18584- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَلَيْنَ مَسْتَنَّهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ... الآية,** يقول: لئن أصابتهم عقوبة.

وقوله: **لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم, ليعلمن حينئذ غب تكذيبهم بك, وليعترفن على أنفسهن بنعمة الله وإحسانه إليهن وكفرانهن أياديهن عندهن, وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد, وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا, ووضعنا العبادة غير موضعها.

الآية : 47

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَصَعُّ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وَتَصَعُّ الْمَوَازِينَ الْعَدْلَ وَهُوَ الْقِسْطُ. وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله: لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه. وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى «في» كان معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة. وقوله: فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا يَقُولُ: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخره ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18585- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، قوله: وَتَصَعُّ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ... إلى آخر الآية، وهو كقوله: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ يَعْنِي بِالْوَزْنِ: الْقِسْطَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ فِي الْأَعْمَالِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَمَنْ أَحَاطَتْ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، يَقُولُ: أَذْهَبَتْ حَسَنَاتُهُ سَيِّئَاتِهِ، وَمَنْ أَحَاطَتْ سَيِّئَاتُهُ بِحَسَنَاتِهِ فَقَدْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ وَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ، يَقُولُ: أَذْهَبَتْ حَسَنَاتُهُ حَسَنَاتِهِ.

18586- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: وَتَصَعُّ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ، كَمَا يَجُوزُ الْمَوْزَنُ كَذَلِكَ يَجُوزُ الْحَقُّ. قَالَ الثَّوْرِيُّ: قَالَ لَيْثٌ عَنْ مَجَاهِدٍ: وَتَصَعُّ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ قَالَ: الْعَدْلَ.

وقوله: وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا يَقُولُ: وَإِنْ كَانَ الَّذِي لَهُ مِنْ عَمَلِ الْحَسَنَاتِ أَوْ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَزْنُ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا يَقُولُ: جِئْنَا بِهَا فَأَحْضَرْنَاهَا إِيَّاهُ. كَمَا:

18587- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا قَالَ: كَتَبْنَاهَا وَأَحْصَيْنَاهَا لَهُ وَعَلَيْهِ.

18588- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا قَالَ: يُؤْتِي بِهَا لَكَ وَعَلَيْكَ، ثُمَّ يَعْفُو إِنْ شَاءَ أَوْ يَأْخُذُ، وَيَجْزِي بِمَا عَمِلَ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ. وَكَانَ مَجَاهِدٌ يَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا:

18589- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا قَالَ: جَازَيْنَا بِهَا.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد أنه كان يقول: وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا قَالَ: جَازَيْنَا بِهَا. وَقَالَ: آتَيْنَا بِهَا فَأَخْرَجَ قَوْلَهُ بِهَا مَخْرَجَ كِنَايَةِ الْمُؤْنِثِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي تَقْدُمُ ذَلِكَ قَوْلَهُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ، لِأَنَّهُ عَنِي بِقَوْلِهِ بِهَا الْحَبَّةُ دُونَ الْمِثْقَالِ، وَلَوْ عَنِي بِهِ

المثقال لقليل «به». وقد ذكر أن مجاهدا إنما تأول قوله: أْتَيْنَا بِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا عَنْهُ، لَأَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ: «أْتَيْنَا بِهَا» بِمَدِّ الْأَلْفِ. وقوله: وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ يَقُولُ: وَحَسَبَ مِنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ بِنَا حَاسِبِينَ، لَأَنَّهُ لَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَا سَلَفَ فِي الدُّنَا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ مِنَّا.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ} .

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل. وذلك هو التوراة في قول بعضهم ذكر من قال ذلك:

18590- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: الْفُرْقَانَ قال: الكتاب. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18591- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

18592- حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ قال: الفرقان: الحق آناه الله موسى وهارون، فرق بينهما وبين فرعون، فقصى بينهم بالحق. وقرأ: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ قال: يوم بدر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء لأن الضياء الذي أتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار. وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال يَزِيئَةُ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا. والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

وقوله: وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ يقول: وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذكرهم بما أتى موسى وهارون من التوراة .

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} .

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان الذّكر الذي آتيناها للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون، حذرون أن تقوم عليهم، فيردوا على ربهم قد فرطوا في الواجب عليهم لله، فيعاقبهم من العقوبة بما لا يقبل لهم به.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ }.

يقول جل ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذكراً لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به، مبارك أنزلناه كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكراً للمتقين. أفأنتم له منكرُونَ يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلي محمد منكرُونَ ويقولون هو أضغاث أحلام بل افتراءه بل هو شاعر قلينا بآية كما أرسل الأولون وإنما الذي آتينا من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكراً للمتقين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18593- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ... إلى قوله: أفأنتم له منكرُونَ: أي هذا القرآن.

الآية : 51 و 52

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ موسى وهارون، ووفقناه للحق، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى إبراهيم، فأنقذنا من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقاً منا له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18594- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هديناه صغيراً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هداه صغيراً.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: آتينا إبراهيم رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هداه صغيراً.

18595- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ يقول: آتينا هداً.

وقوله: وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئاً. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ يَعْنِي فِي وَقْتِ قِيلِهِ وَحِينَ قِيلَهُ لَهُمْ: مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ يقول: قال لهم: أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون؟ وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها كما:

18596- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قال: الأصنام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك, وذكرنا الرواية عن أهل التأويل.

الآية : 53 - 55

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين, فنحن على ملة آباؤنا نعبدها كما كانوا يعبدون. قال إبراهيم: لقد كنتم أيها القوم أنتم وآباؤكم بعبادتكم إياها في ضلال مبين يقول: في ذهاب عن سبيل الحق, وجور عن قصد السبيل مبين يقول: بين لمن تأمله بعقل أنكم كذلك في جور عن الحق. قالوا أجئنا بالحق؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئنا بالحق فيما تقول أم أنت هازل لاعب من اللاعبين.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتم بالحق لا اللعب, ربكم رب السموات والأرض الذي خلقهن, وأنا على ذلكم من الشاهدين. يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضر ولا تنفع.

الآية : 57 - 58

القول في تأويل قوله تعالى: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ }.

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء, وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا: من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين, فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. ذكر من قال ذلك:

18597- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا

عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ قال: قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم فأبى وقال: إني سقيم, فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر, وهو الذي يقول: سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18598- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ** قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعه بعد أن تولوا مدبرين.

وقوله: **فَجَعَلَهُمْ جُدَاذَا** إلا كَبِيرًا لَهُمْ اختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي: **«فَجَعَلَهُمْ جِدَاذَا»** بمعنى جمع جديذ, كأنهم أرادوا به جمع جديذ وجِذَاذ, كما يجمع الخفيف خِفاف, والكريم كِرَام.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه: **جُدَاذَا** بضم الجيم, لإجماع قراء الأمصار عليه, وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب وهو إذا قرئ كذلك مصدرٌ مثل الرِّفَات, والفُتَات, والدِّقَاق لا واحد له, وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجديذ, والجديذ: هو فعيل صُرِف من مجدوذ إليه, مثل كسير وهشيم, والمجدوذة: المكسورة قطعاً.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18599- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: **فَجَعَلَهُمْ جُدَاذَا** يقول: حُطَامًا.

18600- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: **جُدَاذَا** كالصَّريم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18601- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **فَجَعَلَهُمْ جُدَاذَا**: أي قطعاً.

وكان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بأهله قومه ذلك, كما:

18602- حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط عن السدي: أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا فلما كان يوم العيد, فخرجوا إليه, خرج معهم إبراهيم, فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم, يقول: أشتكى رجلي. فتواطئوا رجليه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم, وقد بقي صَعَقِي الناس: **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ** فسمعوها منه. ثم رجع إبراهيم إلى بيت الألهة, فإذا هنّ في بهو عظيم, مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض, كل صنم يليه أصغر منه, حتى بلغوا باب البهو, وإذا هم قد جعلوا طعاماً, فوضعه بين أيدي الألهة, قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا وقد باركت الألهة في طعامنا فأكلنا. فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال: **أَلَا تَأْكُلُونَ؟** فلما لم تجبه, قال: **مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ قَرَأَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ** فأخذ فأس حديد, فنقر كل صنم في حافتيه, ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر, ثم خرج. فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم قالوا **مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ** قالوا **سَمِعْنَا قَتَى يَذُكْرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ.**

وقوله: **إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ يَقُولُ: إِلَّا عَظِيمًا لِلْأَلِهَةِ**, فإن إبراهيم لم يكسره, ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18603- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ: **إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ** قال: قال ابن عباس: إلا عظيمًا لهم عظيم آلهتهم. قال ابن جُرَيْجٍ, وقال مجاهد: وجعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مُسْنَدَةً إلى صدر كبيرهم الذي تَرَكَ.

18604- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك.

18605- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أقبل عليهنّ كما قال الله تبارك وتعالى **صَرَبًا بِالْيَمِينِ** ثم جعل يكسرهنّ بفأس في يده, حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده, ثم تركهنّ. فلما رجع قومه, رأوا ما صنع بأصنامهم, فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا: من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين.

وقوله **لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** يقول: فعل ذلك إبراهيم بالهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم, فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعده, فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله والبراءة من الأوثان.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18606- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: **لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

الآية : 59 - 61

القول في تأويل قوله تعالى: **{ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْبَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ }**.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جُذّت, إلا الذي رَبط به الفأس إبراهيم: من فعل هذا بالهتنا؟ إن الذي فعل هذا بالهتنا لمن الظالمين أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله. **قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** يقول: قال الذين سمعوه يقول وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مُدْبِرِينَ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم. كما:

18607- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ: **قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ** قال ابن جُرَيْجٍ: يذكرهم يعيهم.

18608- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قوله: **سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** سمعناه يسبها ويعيها ويستهزيء بها, لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره, وهو الذي نطن صنع هذا بها.

وقوله: **قَالُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ** يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بالهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس ف قيل: معنى ذلك: على

رؤس الناس, وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم, وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس, يراد به كان بأيدي الناس. واختلف أهل التأويل قوله: لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ فقال بعضهم: لعل الناس يشهدون عليه أنه الذي فعل ذلك, فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه. وقالوا: إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة. ذكر من قال ذلك: 18609- حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ. 18610- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالَ: كَرِهُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلمهم يشهدون ما يعاقبونه به, فيعاقبونه ويرونه. ذكر من قال ذلك: 18611- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: بلغ ما فعل إبراهيم بإلهة قومه نمروذ, وأشرف قومه, فقالوا: فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ: أي ما يُصْنَعُ بِهِ. وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا: أتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون عقوبتنا إياه, لأنه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال: انظروا من شهده يفعل ذلك, ولم يقل: أحضروه بمجمع من الناس.

الآية : 62 - 63

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِلَهَتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } . يقول تعالى ذكره: أتوا بإبراهيم, فلما أتوا به قالوا له: أنت فعلت هذا بإلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم, فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق أو تعبر عن نفسها وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18612- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ قالوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِلَهَتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ غَضِبَ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوا مَعَهُ هَذِهِ الصَّغَارُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا, فَكَسَرَهُنَّ. 18613- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا... الآية, وهي هذه الخصلة التي كادهم بها. وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام, أن معنى قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا إنما هو: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم, أي إن كانت الآلهة المكسورة تنطق فإن كبيرهم هو الذي كسرهم. وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله, قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا, وقوله: إِيَّيْ سَقِيمٌ, وقوله لسارة: هي أختي. وغير مستحيل أن يكون الله ذكره أذن لخليله في ذلك, ليقرَّع قومه به, ويحتجَّ به عليهم, ويعرِّفهم موضع خطئهم,

وسوء نظرهم لأنفسهم, كما قال مؤدّن يوسف لإخوته: أَيْبُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ولم يكونوا سرقوا شيئاً.

الآية : 64 - 65

القول في تأويل قوله تعالى: { فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ في أنفسهم, ورجعوا إلى عقولهم, ونظر بعضهم إلى بعض, فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بالهتنا يا إبراهيم؟ وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتمكم فاسألوها

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18614- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ قال: ارعَوْوا ورجعوا عنه يعني عن إبراهيم, فيما ادّعوا عليه من كسرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم, فقالوا: لقد ظلمناه, وما نراه إلا كما قال.

18615- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ قال: نظر بعضهم إلى بعض فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ.

وقوله: ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ يقول جلّ ثناؤه: ثم غلبوا في الحجة, فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم, فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون. كما:

18616- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم قالوا: يعني قوم إبراهيم, وعرفوا أنها, يعني آلهتهم لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطلش: لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ: أي لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها, وما تبطلش بالأيدي فنصدّقك, يقول الله: ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم, فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم: لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ.

18617- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال الله: ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ أدركت الناس خيرة سؤء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نكسوا في الفتنة. ذكر من قال ذلك:

18618- حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ قال: نكسوا في الفتنة على رؤوسهم, فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم, فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك, لأن تَكْسَرَ الشيء على رأسه: قَلْبُهُ على رأسه وَتَضْيِيرُ أعلاه أسفله ومعلوم أن القوم لم يُقْبِلُوا على رؤوس أنفسهم, وأنهم إنما نكست حجّتهم, فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجّتهم. وإذ كان ذلك كذلك, فتكسر الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه. وأما قول السدي: ثم نكسوا في الفتنة, فإنهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك فنكسوا فيها. وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه, فقول بعيد من

الفهوم لأنهم لو كانوا رجوعا عما عرفوا من حجة إبراهيم، ما احتجوا عليه بما هو حجة له، بل كانوا يقولون له: لا تسألهم، ولكن نسألك فأخبرنا مَنْ فعل ذلك بها، وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ولكن صدقوا القول فقالوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا، بل هو إقرار به.

الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَقَلًا تَعْقِلُونَ } .
يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضرركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عنم يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا؟ كما:

18619- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: قال أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ... الآية، يقول برحمه الله: ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذي أصابهم، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم، فكيف ينفعونكم أو يضرّون وقوله: أَفَ لَكُمْ يقول: فُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، فتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السموات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ؟

الآية : 68 - 70

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَبْرَأ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } .

يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ يقول: إن كنتم ناصرها ولم تريدوا ترك عبادتها.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس. ذكر من قال ذلك:

18620- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ قال: قالها رجل من أعراب فارس، يعني الأكراد.

18621- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبئي، قال: إن الذي قال حَرِّقُوهُ «هيزن» فحسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

18622- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا: حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصرها.

18623- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال: تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال: أتدري يا مجاهد من الذي

أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت لا. قال: رجل من أعراب فارس. قلت: يا أبا عبد الرحمن، أو هل للفرس أعراب؟ قال: نعم الكرد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار. وقوله: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اجتزىء بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وذكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا كما:

18624- حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ قَالَ: فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطباً، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدّة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل فخذفوه في النار، فنادها فقال: يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم فكان جبريل عليه السلام هو الذي نادها. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لما مات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، ظنت أنها هي تُعنى. فلما طفئت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل. وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

18625- حدثني إبراهيم بن المقدم أبو الأشعث، قال: حدثنا المعتمر، قال: سمعت أبي، قال: حدثنا قتادة، عن أبي سليمان، عن كعب، قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

18626- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ كَعْبًا كَانَ يَقُولُ: مَا انْتَفَعُ بِهَا يَوْمئِذٍ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. وَكَانَ كَعْبٌ يَقُولُ: مَا أَحْرَقَتِ النَّارُ يَوْمئِذٍ إِلَّا وَثَاقَهُ.

18627- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن شيخ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: بردت عليه حتى كادت تقتله، حتى قيل: «وسلاما»، قال: لا تضربيه.

18628- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا إسماعيل، عن المنهال بن عمرو، قال: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

18629- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لَمَّا أَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ، قَالَ الْمَلَكُ خَازِنَ الْمَطَرِ: رَبِّ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ رَجَا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَيُرْسَلُ الْمَطَرُ. قَالَ:

فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال: يا نارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فلم يبق في الأرض نارٌ إلا طُفئت.

18630- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن الحرث، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجده يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نَعَمْ الرَّبُّ رَبُّكَ يَا إِبْرَاهِيمَ.

18631- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجببي، قال: ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة، ودُبِحَ إسحاق وهو ابن سبع سنين، وولده سارة وهي ابنة تسعين سنة، وكان مذبحه من بيت إيلياء على ميلين، ولما علمت سارة بما أراد بإسحاق بُطِنَتْ يومين، وماتت اليوم الثالث. قال ابن جريح: قال كعب الأحبار: ما أحرقت النار من إبراهيم شيئاً غير وثاقه الذي أوثقوه به.

18632- حدثنا الحسن، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا.

18633- قال: حدثنا معتمر، قال: حدثنا ابن كعب، عن أرقم: أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك.

18634- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ قال: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال: «وسلاماً» لكان البرد أشد عليه من الحرّ.

18635- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قوله: بَرْدًا قال: بردت عليه وسلاماً لا تؤذيه.

18636- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ قال: قال كعب: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار، ولا أحرقت النار يومئذ شيئاً إلا وثاق إبراهيم.

وقال قتادة: لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ. وقال الزهري: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه قُوبِسَقًا. وقوله: وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَأَرَادُوا بِإِبْرَاهِيمَ كَيْدًا، فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ يعني الهالكين. وقد:

18637- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ قال: ألقوا شيخاً منهم في النار لأن يصيبوا نجاته، كما نُجِّي إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فاحترق.

الآية : 71

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق، إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وهي أرض الشام، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشام.

وهذه القصة التي قصَّ الله من نبي إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمداً على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم ومخالفتهم دينه، وأن محمداً في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقي منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشام، ومسلِّ بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يلقي من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجَّى أباه إبراهيم من كفره قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم ولوطا إليها ووصفه أنه بارك فيها للعالمين. فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

18638- حدثنا الحسين بن حريث المروزي أبو عمار، قال: حدثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: وَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قال: الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي بيت المقدس.

18639- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن فرات القزاز، عن الحسن، في قوله: إلى الأرض التي باركنا فيها قال: الشام.

18640- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ كَانَا بِأَرْضِ الْعِرَاقِ، فَأَنْجِيَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ. وَكَانَ يُقَالُ لِلشَّامِ عَمَادُ دَارِ الْهَجْرَةِ، وَمَا نَقَصَ مِنَ الْأَرْضِ زَيْدٌ فِي الشَّامِ، وَمَا نَقَصَ مِنَ الشَّامِ زَيْدٌ فِي فَلَسْطِينَ. وَكَانَ يُقَالُ: هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، وَبِهَا مَجْمَعُ النَّاسِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَبِهَا يَهْلِكُ اللَّهُ شَيْخَ الضَّلَالَةِ الْكَذَّابِ الدَّجَالِ. وَحَدَّثَنَا أَبُو قَلَابَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي مَا يَرَى النَّاسُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ فَوَضَعَتْهُ بِالشَّامِ، فَأَوْلَتْهُ أَنْ الْفِتْنَةَ إِذَا وَقَعَتْ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالشَّامِ».

وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه: «إِنَّهُ كَانَتْ بِالشَّامِ جُنْدٌ، وَبِالْعِرَاقِ جُنْدٌ، وَبِالْيَمَنِ جُنْدٌ». فقال رجل: يا رسول الله خِرْ لِي فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ، فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْحَقْ بِأَمْنِهِ وَلَيْسُقْ بِقَدْرِهِ». وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ألا تحوّل إلى المدينة فأنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره؟ فقال له كعب: يا أمير المؤمنين، إني أجد في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده.

18641- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قَالَ: هَاجَرَا جَمِيعًا مِنْ كُوْتَيْ إِلَى الشَّامِ.

18642- حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: انطلق إبراهيم و لوط قِبَل الشَّامِ, فلقي إبراهيم سَارَةَ, وهي بنت ملك حَرَّانِ, وقد طعنت على قومها في دينهم, فتزوَّجها على أن لا يغيرها.

18643- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه, وخرج معه لوط مهاجرا, وتزوَّج سَارَةَ ابنة عمه, فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه, حتى نزل حَرَّانِ, فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث. ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر. ثم خرج من مصر إلى الشام, فنزل السبع من أرض فلسطين, وهي بَرِّيَّة الشَّامِ, ونزل لوط بالمؤتفكة, وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة, أو أقرب من ذلك, فبعثه الله نبيًا صلى الله عليه وسلم.

18644- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ, قوله: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قَالَ: نَجَاهُ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ.

18645- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرَازِي, عن الربيع, عن أبي العالية, أنه قال في هذه الآية: بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قَالَ: لَيْسَ مَاءٌ عَذْبٌ إِلَّا يَهْبِطُ إِلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي بَيْتُ الْمَقْدِسِ, قَالَ: ثُمَّ يَتَفَرَّقُ فِي الْأَرْضِ.

18646- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قَالَ: إِلَى الشَّامِ.

وقال آخرون: بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى: التي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ. ذكر من قال ذلك:

18647- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ يعني مكة ونزول إسماعيل البيت ألا ترى أنه يقول: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ؟

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مُقامه أيام حياته, وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر غير أنه لم يُقم بها ولم يتخذها وطنًا لنفسه, ولا لوط, والله إنما أخبر عن إبراهيم و لوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

الآية : 72 و 73

القول في تأويل قوله تعالى: { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده, نافلة لك.

واختلف أهل التأويل في المعنيِّ بقوله: نافلةً فقال بعضهم: عُني به يعقوب خاصة. ذكر من قال ذلك:

18648- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً يقول: ووهبنا له إسحاق ولدا، ويعقوب ابن نافلة.

18649- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً والنافلة: ابن ابنه يعقوب.

18650- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً قال: سأل واحدا فقال: ربِّ هب لي من الصالحين فأعطاه واحدا، وزاده يعقوب ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عُني بذلك إسحاق ويعقوب. قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه. ذكر من قال ذلك:

18651- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، في قوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً قال: عطية.

18652- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً قال: عطاء.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى قبل أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أيِّ شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم وهبة منه له. وجائز أن يكون عني به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عني أنه آتاه نافلة يعقوب ولا برهان يدل على أيِّ ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله: وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه. وعني بقوله: كُلًّا: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب. وقوله: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويُقتدى بهم، ويتبعون عليه. كما:

18653- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله. وقوله: يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته.

وقوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك. وكانوا لنا عابدين يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ قَاسِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وآتينا لوطا حُكْمًا وهو فصل القضاء بين الخصوم, وعِلْمًا يقول: وآتيناها أيضا علما بأمر دينه, وما يجب عليه لله من فرائضه. وفي نصب «لوط» وجهان: (أحدهما) أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا: وآتينا لوطا والآخر بمضمر بمعنى: واذكر لوطا.

وقوله: وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ يقول: ونجيناها من عذابنا الذي أحلناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث, وهي قرية سدُوم التي كان لوط بعث إلى أهلها. وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أديارهم, وحَدْفهم الناس, وتضارطهم في أنديةهم, مع أشياء أحر كانوا يعملونها من المنكر, فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام. كما:

18654- حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: أخرجهم الله, يعني لوطا وابنتيه زينا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه.

وقوله: إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْتَقِمْ كَمَا تَرَكَتَ مِمَّا قَدَّمْتَهُمْ لَكَ خَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِهِ وَمَا يَرْضَىٰ مِنَ الْعَمَلِ.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}. يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطا في رحمتنا بانجائنا إياه مما أحلنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذنا منه. إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصونا. وكان ابن زيد يقول في معنى قوله: وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ما: 18655- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا قال: في الإسلام.

الآية : 76 و 77

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَا نَاوَةَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}.

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك, ومن قبل إبراهيم ولوط, وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده, وكذبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه وَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا فاستجبنا له دعاءه, ونجيناها وأهله, يعني بأهله: أهل الإيمان من ولده وحلائلهم مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ يعني بالكرب العظيم: العذاب الذي أحل بالمكذبين من الطوفان والغرق. والكرب: شدة الغم, يقال منه: قد كربني هذا الأمر فهو يكربني كَرْبًا. وقوله: وَنَصَرْنَا نَاوَةَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذي كذبوا بحجنا وأدلتنا, فأنجينا منهم, فأغرقناهم أجمعين. إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ يقول تعالى ذكره: إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء, يسيئون الأعمال, فيعصون الله ويخالفون أمره.

الآية : 78 و 79

القول في تأويل قوله تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث.

واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا. ذكر من قال ذلك:

18656- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن إسحاق، عن مرة في قوله: إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ قَالَ: كان الحرث نبتا.

18657- حدثنا يشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، قال: ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً.

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كزما. ذكر من قال ذلك:

18658- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، في قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ قَالَ: كَرَّمٌ قَدْ أَنْبَتَ عِنَاقِيده.

18659- حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن شريح، قال: كان الحرث كزما.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى: إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ وَالْحَرْثُ: إنما هو حرث الأرض. وجائز أن يكون ذلك كان زرعاً، وجائز أن يكون عَرَساً، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان.

وقوله: إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ يَقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلاً، فرعته أو أفسدته. وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ يَقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه. وقوله: فَفَهَّمْنَاهَا يَقول: ففهمنا القضية في ذلك سُلَيْمَانَ دُونَ دَاوُدَ. وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا يَقول: وكلهم من داود وسليمان والرسول الذين ذكرهم في أول هذه السورة آتينا حكماً وهو النبوة، وعلماً: يعني وعلماً بأحكام الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18660- حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالوا: حدثنا

المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، في قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: كرم قد أنبت عناقيد فأفسدته. قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتُدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت إلى الكرم صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها. فذلك قوله: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ.

18661- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:

ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ... إلى قوله: وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ يَقول: كنا لما حكما

شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يُبق من حرثي شيئاً. فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك فقصي بذلك داود. ومضى صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال: يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفي على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل عام. فقال داود: قد أصبت، القضاء كما قضيت. ففهمها الله سليمان.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن علي بن زيد، قال: ثني خليفة، عن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا. فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسبلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها.

18662- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، قال: حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: إِذْ تَفَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث، وحكم سليمان بجزء الغنم وألبانها لأهل الحرث، وعليهم رعايتها على أهل الحرث، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهينته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهلها ويأخذون غنمهم.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: ثني ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج بنحوه، إلا أنه قال: وعليهم رعايتها.

18663- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن إسحاق، عن مرة في قوله: إِذْ تَفَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: كان الحرث نبتاً، فنفتت فيه ليلاً، فاختموا فيه إلى داود، فقصى بالغنم لأصحاب الحرث. فمروا على سليمان، فذكروا ذلك له، فقال: لا، تُدفع الغنم فيصيبون منها يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم، فإذا كان كما كان ردوا عليهم. فنزلت: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ.

18664- حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن شريح، في قوله: إِذْ تَفَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: كان النفتس ليلاً، وكان الحرث كرماً، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم، قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه، فاجعل له أصوافها وألبانها قال: فهو قول الله: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ.

18665- حدثنا ابن أبي زياد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل، عن عامر، قال: جاء رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: إن شياه هذا قطعت عزلاً لي، فقال شريح: نهاراً أم ليلاً؟ قال: إن كان نهاراً فقد

بريء صاحب الشياه, وإن كان ليلاً فقد ضمن. ثم قرأ: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: كَانَ النَفْسَ لَيْلًا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد,
عن عامر, عن شريح بنحوه.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد
عن الشعبي, عن شريح, مثله.

18666- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
وَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ... الآية, النفس بالليل, والهمل
بالنهار. وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً, فرفع ذلك إلى داود,
فقضى بالغنم لأصحاب الزرع, فقال سليمان: ليس كذلك, ولكن له
نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها, حتى إذا كان من العام المقبل كهيئته
يوم أكل دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه. فقال الله:
فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ.

18667- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة
والزهري: إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: نَفَسَتْ غَنَمٌ فِي حَرْثِ قَوْمٍ. قَالَ
الزهري: والنفس لا يكون إلا ليلاً, فقضى داود أن يأخذ الغنم, ففهمها الله
سليمان, قال: فلما أخبر بقضاء داود, قال: لا, ولكن خذوا الغنم, ولكم ما
خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قتادة, في قوله:
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: فِي حَرْثِ قَوْمٍ. قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزَّهْرِيُّ:
النَّفْسُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ, وَالْهَمْلُ بِالنَّهَارِ. قَالَ قَتَادَةُ: فَقَضَى أَنْ يَأْخُذُوا
الْغَنَمَ, فَفَهَّمَهَا اللَّهُ سُلَيْمَانَ, ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ عَبْدِ
الْأَعْلَى.

18668- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في
قوله: وَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ
الْقَوْمِ... الآيتين, قال: انفلت غنم رجل على حرت رجل فأكلته, فجاء إلى
داود, فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرت بما أكلت وكأنه رأى أنه وجه
ذلك. فمروا بسليمان, فقال: ما قضى بينكم نبي الله؟ فأخبروه, فقال:
ألا أقضى بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا: نعم. فقال: أما أنت يا صاحب
الحرت, فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها, أصب من لبنها
وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب, واحرث أنت يا صاحب الغنم حرت هذا
الرجل, حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فأعطه حرثه وخذ
غنمك فذلك قول الله تبارك وتعالى: وَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي
الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ. وقرأ حتى بلغ قوله: وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا
وَعِلْمًا.

18669- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن
جريح, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, في قوله: إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
غَنَمُ الْقَوْمِ قَالَ: رَعَتْ.

18670- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال:
النفس: الرعية تحت الليل.

18671- قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري, عن حرام بن
محيصة بن مسعود, قال: دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار

فأفسدته, فرُفِعَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: إِذْ تَقَسَّتْ فِيهِ عَنَّمُ الْقَوْمِ فَقَضَى عَلَى الْمِبْرَاءِ بِمَا أَفْسَدْتَهُ النَّاقَةُ, وَقَالَ: «عَلَى أَصْحَابِ الْمَأْشِيَةِ حِفْظُ الْمَأْشِيَةِ بِاللَّيْلِ, وَعَلَى أَصْحَابِ الْحَوَائِطِ حِفْظُ حِيْطَانِهِمْ بِالنَّهَارِ».

قال الزهري: وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلاً دخلت ما شيته زرعاً لرجل فأفسدته, ولا يكون النفوش إلا بالليل, فارتفعا إلى داود, فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع, فانصرفا, فمراً بسليمان, فقال: بماذا قضى بينكما نبي الله؟ فقالا: قضى بالغنم لصاحب الزرع. فقال: إن الحكم لعلى غير هذا, انصرفا معي فأتى أباه داود, فقال: يا نبي الله, قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال نعم. قال: يا نبي الله, إن الحكم لعلى غير هذا. قال: وكيف يا نبي الله؟ قال: تدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمنونها وأصوافها, وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه, فإذا عاد الزرع إلى حالة التي أصابته الغنم عليها رُدَّت الغنم على صاحب الغنم ورُدَّ الزرع إلى صاحب الزرع. فقال داود: لا يقطع الله قَمَكُ فقضى بما قضى سليمان. قال الزهري: فذلك قوله: وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ... إلى قوله: حُكَمَا وَعِلْمَا.

18672- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, وعلي بن مجاهد, عن محمد بن إسحاق, قال: فحدثني من سمع الحسن يقول: كان الحكم بما قضى به سليمان, ولم يعثف الله داود في حكمه.

وقوله: وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح.

وكان قتادة يقول في معنى قوله: يُسَبِّحْنَ في هذا الموضع ما: 18673- حدثنا به بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ: أي يصلين مع داود إذا صلى.

وقوله: وَكُنَّا فَاعِلِينَ يَقُولُ: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك, ومسخروا الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

الآية : 80

الِقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِتَّكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم, واللبوس عند العرب: السلاح كله, درعا كان أو جوشنا أو سيفاً أو رمحاً, يدل على ذلك قول الهذلي:

وَمَعِيَ لَبُوسٌ لِلْبَيْسِ كَأْتَهْرَوقٍ بِجَنَّةِ ذِي نِعَاجٍ مُّجْفِلٍ
وإنما يصف بذلك رمحاً. وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا:
عني الدروع. ذكر من قال ذلك:

18674- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ.... الآية, قال: كانت قبل داود صفائح, قال: وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قيادة: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ قَالَ: كانت صفائح، فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام.

واختلفت القراء في قراءة قوله: لِيُحْصِنَكُمْ فَقَرَأَ ذَلِكَ أَكْثَرَ قِرَاءِ الْأَمْصَارِ: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالياء، بمعنى: ليحصنكم اللبوس من بأسكم، ذكروه لتذكير اللبوس. وقراء ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع: لِيُحْصِنَكُمْ بالتاء، بمعنى: لتحصنكم الصنعة، فأنث لتأنيث الصنعة. وقراء شيبه بن نصاح وعاصم بن أبي النجود: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالنون، بمعنى: لنحصنكم نحن من بأسكم. قال أبو جعفر: وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالياء، لأنها القراءة التي عليها الحجة من قراء الأمصار، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني وذلك أن الصنعة هي اللبوس، واللبوس هي الصنعة، والله هو المحصن به من البأس، وهو المحصن بتصوير الله إياه كذلك. ومعنى قوله: «لِيُحْصِنَكُمْ» ليحرزكم، وهو من قوله: قد أحصن فلان جاريته. وقد بينا معنى ذلك بشواهد في ما مضى قبل. والبأس: القتال، وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم إذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل. وقوله: فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكروا الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان بن داود الرِّيحَ عَاصِفَةً وعصوفها: شدة هبوبها تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها يقول: تجري الرِّيحُ بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها يعني: إلى الشام وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: إلى الأرض التي باركنا فيها. كما:

18675- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه قال: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريرته. وكان امرءاً غزاًء، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله. وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو، أمر بعسكره فصرب له بـخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتلمته، حتى إذا استقلت أمر الرِّخاء، فمدته شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد، يقول الله عز وجل: فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُجَاءً حَيْثُ أَصَابَ قَالَ: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عُذُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ. قال: فذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان، إما من الجن وإما من الإنس. نحن نزلناه وما بنيناها، ومبنياً وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راحلون منه إن شاء الله قائلون الشام.

18676- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَلِسْلِيمَانَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً...** إلى قوله: **وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ** قال: ورث الله سليمان داود, فورثه نيوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين.

18677- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: **وَلِسْلِيمَانَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ** قال: عاصفة شديدة تجري بأمره إلى الأرض التي بآركنا فيها قال: الشام.

وأختلفت القراء في قراءة قوله: **وَلِسْلِيمَانَ الرَّيْحَ** فقرأته عامة قراء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه. وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج: «الرَّيْحُ» رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: **وَكُنَّا يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمِينَ** يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له وإعطائنا ما أعطينا من الملك وصلاح الخلق, فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا, ونحن عالمون بكل شيء لا يخفي علينا منه شيء.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ}**.

يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر, ويعملون عملاً دون ذلك من البنيان والتمائيل والمحارِب. **وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ** يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين, لا يؤدنا حفظ ذلك كله.

الآية : 83 و 84

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مِّمَّهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ}**.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيوب يا محمد, إذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء. **رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** فاستجبنا له يقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا, فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد. وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به, امتحانا من الله له واختبارا. وكان سبب ذلك كما:

18678- حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام, قال: ثني عبد الصمد بن معقل, قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه, أنه كان صابرا نعم العبد. قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله والفضيلة عنده, وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام, فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه ثم تلقاه ميكائيل, وحوله الملائكة المقرَّبون حافين من حول العرش. وشاع ذلك في الملائكة المقرَّبين, صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات, فإذا صلت عليه ملائكة السموات, هبطت عليه بالصلاة إلى

ملائكة الأرض. وكان إبليس لا يُحجّب بشيء من السموات, وكان يقف فيهنّ حيث شاء ما أرادوا, ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة. فلم يزل على ذلك يصعد في السموات, حتى رفع الله عيسى ابن مريم, فحُجِب من أربع, وكان يصعد في ثلاث. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم, حُجِب من الثلاث الباقية, فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات إلى يوم القيامة إلا من استترق السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ نَاقِبٌ, ولذلك أنكرت الجنّ ما كانت تعرف حين قالت: وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا... إلى قوله: شِهَابًا رَصَدًا. قال وهب: فلم يَرُعْ إبليس إلا تجاوبُ ملائكتها بالصلاة على أيوب, وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه. فلما سمع إبليس صلاة الملائكة, أدركه البغي والحسد, وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه, فقال: يا إلهي, نظرت في أمر عبدك أيوب, فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك, وعاقبته فحمدك, ثم لم تجرّبه بشدة ولم تجرّبه ببلاء, وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرنّ بك ولينسينك وليعبدنّ غيرك قال الله تبارك وتعالى له: انطلق, فقد سلطتك على ماله, فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني, ليس لك سلطان على جسده ولا على عقله فانقضّ عدوّ الله, حتى وقع على الأرض, ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم, وكان لأيوب البتّية من الشام كلها, بما فيها من شرقها وغربها, وكان له بها ألف شاة برعاتها, وخمس مئة فدان يتبعها خمس مئة عبد, لكل عبد امرأة وولد ومال, وحمل آلة كل فدان أتان, لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك. فلما جمع إبليس الشياطين, قال لهم: ماذا عندكم من القوّة والمعرفة؟ فإني قد سلطت على مال أيوب, فهي المصيبة الفادحة, والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال. قال عفريت من الشياطين: أعطيتُ من القوّة ما إذا شئت تحوّلت إعصارا من نار فأحرقت كل شيء أتى عليه. فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها. فانطلق يؤمّ الإبل, وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت في مراعيها, فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السّموم, لا يدنو منها أحد إلا احترق, فلم يزل يُحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها, ثم انطلق يؤم أيوب, حتى وجده قائما يصلي, فقال: يا أيوب قال: لبيك قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها؟ قال أيوب: إنها ماله أعارنيه, وهو أولى به إذا شاء نزع, وقديما ما وطئت نفسي ومالي على الفناء. قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها, حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها, فتركت الناس مبهوتين, وهم وقوف عليها يتعجبون, منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنه وليه, ومنهم من يقول: بل هو فعّل الذي فعل ليشتت به عدوّه وليفجع به صديقه. قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني, عُرّيانا خرجت من بطن أمي, وعُرّيانا أعود في التراب, وعُرّيانا أحشر إلى الله, ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته, الله أولى بك وبما أعطاك, ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الأرواح, فأجرني فيك وصرت شهيدا, ولكنه علم منك شرّا

فأخرك من أجله فعزّاك الله من المصيبة وخلصك من من البلاء كما يخلص الزّوان من القمّح الخالص.

ثمّ رجع إبليس إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً، فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة، فإنّي لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة ما إذا شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه. قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤمّ الغنم ورعاتها، حتى إذا وسّطها صاح صوتاً جتّمت أمواتا من عند آخرها ورعاهها. ثمّ خرج إبليس متمثلاً بقهّرمان الرّعاء، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي، فقال له القول الأوّل، وردّ عليه أيوب الرّد الأوّل. ثمّ إن إبليس رجع إلى أصحابه، فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة، فإنّي لم أكلم قلب أيوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة إذا شئت تحوّلت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا أبقى شيئاً. قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم، وذلك حين قرّبوا القدّادين وأنشئوا في الحرث، والأتن وأولادها رُتوع، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن. ثمّ خرج إبليس متمثلاً بقهّرمان الحرث، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأوّل، وردّ عليه أيوب مثل رده الأوّل.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه، صعّد سريعاً، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه فقال: يا إلهي، إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده، فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلة، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، ولا يقوى عليها صبرهم. فقال الله تعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ولده، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ولا على عقله فانقضّ عدوّ الله جواداً، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثمّ جعل يناطح الجُدُر بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجدل، حتى إذا متل بهم كل مُثلة، رفع بهم القصر، حتى إذا أقلت بهم فصاروا فيه منكسين، انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح، مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماعه متغير لا يكاد يعرف من شدّة التغير والمُثلة التي جاء متمثلاً فيها. فلما نظر إليه أيوب هاله وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أقلت من حيث أقلت والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عُذّبوا وكيف مُتّل بهم وكيف قُلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماعهم من أنوفهم وأجوافهم وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف سُفّت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم، ولو رأيت كيف قُذّفوا بالخشب والجدل يشدخ دماغهم، وكيف دقّ الخشب عظامهم وخرق جلودهم وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عُرباناً، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجُدُر تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرفقه حتى رقّ أيوب فبكي، وقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه، فاغتم إبليس (الفرصة منه) عند ذلك، فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به. ثمّ لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رُفِع إليه من توبة أيوب،

فوقف إبليس خازبا ذليلاً، فقال: يا إلهي، إنما هُوَ على أيوب حَظَر المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله.

فانقضَّ عدوُّ الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجّل قبل أن يرفع رأسه، فأناه من قِبَل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده، فترهّل، ونبئت (به) ثاليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حِكة لا يملكها، فحك باظفاره حتى سقطت كلها، ثم حك بالعظام، وحك بالحجارة الخشنة ويقطع المُسوح الخشنة، فلم يزل يحكه حتى نَفِد لحمه وتقطع. ولما تَغَل جلد أيوب وتغير وانتن، أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا. ورفضه خلق الله غيرَ امرأته، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه. وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه، يُقال لأحدهم بلدد، وأليفز، وصافر. قال: فانطلق إليه الثلاثة وهو في بلائه، فبكتوه فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: ربِّ لأبي شيء خلقتنني؟ لو كنت إذْ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني يا ليتني كنت حيضة ألقنتني أمي ويا ليتني متُّ في بطنها فلم أعرف شيئا ولم تعرفني ما الذنب الذي أذبت لم يذنبه أحدٌ غيري؟ وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني؟ لو كنت أمتني فألحقتني بأبائي فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلطين الذي صُفّت من دونهم الجيوش، يضربون عنهم بالسيوف، بخلاً بهم عن الموت وحرصاً على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين، حتى ظنوا أنهم سيخلدون. وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز، وطَمَرُوا المطامير، وجمعوا الجموع، وظنوا أنهم سيخلدون. وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون، وعاشوا فيها المئين من السنين، ثم أصبحت خرابا، ماوى للوحوش ومثنى للشياطين.

قال أليفز التيماني: قد أعيانا أمرُك يا أيوب، إن كَلَمْنَاك فما نرجو للحديث منك موضعا، وإن نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء، فذلك علينا. قد كنا نرى من أعمالك أعمالاً كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا، فإنما يحصد امرؤ ما زرع ويُجَزَى بما عمل. أشهد على الله الذي لا يُقدر قدر عظمته ولا يُحصي عدد نعمه، الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت ويرفع به الخافض ويقوّي به الضعيف، الذي تضلُّ حكمة الحكماء عند حكمته وعلم العلماء عند علمه حتى تراهم من العيِّ في ظلمة يمجون، أن من رجا معونة الله هو القويُّ، وإن من توكل عليه هو المكفيُّ، هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي

قال أيوب: لذلك سكتُ فَعَصِضْتُ على لساني ووضعت لسوء الخدمة رأسي لأنني علمت أن عقوبته غيرت نور وجهي، وأن قوّته نزعَت قوّة جسدي، فأنا عبده، ما قضي عليّ أصابني، ولا قوّة لي إلا ما حمل عليّ لو كانت عظامي من حديد وجسدي من نُحاس وقلبي من حجارة، لم أطق هذا الأمر، ولكن هو ابتلاني وهو يحمله عني أتيتموني غضابا، رهبتم قبل

أن تسترهبوا، وبكيتم من قبل أن تُضربوا، كيف بي لو قلت لكم: تصدّقوا عني بأموالكم لعلّ الله أن يخلصني، أو قريّوا عني قربانا لعلّ الله أن يتقبله مني ويرضى عني؟ إذا استيقظت تمثّيت النوم رجاء أن أستريح، فإذا نمت كادت تجود نفسي. تقطعت أصابعي، فإن لأرفع اللقمة من الطعام بيديّ جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لَهواتي ونخر رأسي، فما بين أذنيّ من سداد، حتى إن إحداهما لترى من الأخرى، وإن دماغي ليسيل من فمي. تساقط شعري عني، فكانما حُرّق بالنار وجهي، وحدقتاي هما متدلّيتان على خدي، ورمّ لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل فيه طعاما إلا غصني، وورمت شفّتي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني. تقطعت أمعائي في بطني، فأني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل، ما أحسه ولا ينفعني. ذهبت قوّة رجليّ، فكأنهما قَرَبتا ماء مُلئتا، لا أطيق حملهما. أحمل لحافي بيديّ، وأسناني فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري. ذهب المال فصرت أسأل بكفي، فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمّنها عليّ ويعيّرني. هلك بَنِيّ وبناتي، ولو بقي منهم أحد أعانني على بلائي ونفعني. وليس العذاب بعذاب الدنيا، إنه يزول عن أهلها، ويموتون عنه، ولكن طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها، ولا يتحوّلون عن منازلهم، السعيد من سعد هنالك والشقيّ من شقيّ فيها

قال بلدد: كيف يقوم لسانك بهذا القول وكيف تفصح به؟ أتقول إن العدل يجوز، أم تقول إن القويّ يضعف؟ ابك على خطيئتك، وتضرّع إلى ربك عسى أن يرحمك ويتجاوز عن ذنبك، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك وإن كان قلبك قد قسا فإن قولنا لمن ينفعك، ولن يأخذ فيك هيهات أن تنبت الأجام في المفاوز، وهيهات أن ينبت البرديّ في الفلاة من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه، ومن جحد الحقّ كيف يرجو أن يوفىّ حقه؟

قال أيوب: إني لأعلم أن هذا هو الحقّ، لن يفلج العبد على ربه ولا يطيق أن يخاصمه، فأيّ كلام لي معه وإن كان إليّ القوّة؟ هو الذي سمك السماء فأقامها وخذّه، وهو الذي يكشّطها إذا شاء فتنطوي له، وهو الذي سطح الأرض فدحاها وحده، ونصب فيها الجبال الراسيات، ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها وإن كان فيّ الكلام، فأيّ كلام لي معه؟ من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة، فحشاه السموات والأرض وما فيهما من الخلق، فوسعه وهو في سعة واسعة، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله وأمرها فلم تعد أمره، وهو الذي يفقه الحيّتان والطير وكل دابّة، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ويأمرها فتطيعه.

قال أليفز: عظيم ما تقول يا أيوب، إن الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول، إن ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته، مثل هذه الحدّة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة عظمت خطيئتك، وكثر طلابك، وعصبت أهل الأموال على أموالهم، فلبست وهم عراة، وأكلت وهم جياع، وجبست عن الضعيف بابك، وعن الجائع طعامك، وعن المحتاج معروفك، وأسررت ذلك وأخفيت في بيتك، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على

ما ظهر منك، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء؟ قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن تكلمتُ لم ينفعني الكلام، وإن سكتُ لم تعذروني قد وقع عليّ كيدي، وأسخطت ربي بخطيئتي، وأشمت أعدائي، وأمكنتهم من عنقي، وجعلتني للبلاء عَرَضًا، وجعلتني للفتنة نُصْبًا لم تنفسي مع ذلك، ولكن أتبعني بلاء على إثر بلاء. ألم أكن للغريب دارًا، وللمسكين قرارًا، ولليتيم وليًّا، وللأرملة قِيَمًا؟ ما رأيت غريبًا إلا كنت له دارًا مكان داره وقرارًا مكان قراره، ولا رأيت مسكينًا إلا كنت له مالًا مكان ماله وأهلًا مكان أهله، وما رأيت يتيمًا إلا كنت له أبا مكان أبيه، وما رأيت أيما إلا كنت لها قِيَمًا ترصّي قيامه. وأنا عبد ذليل، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان، لأن الميّن لربي وليس لي، وإن أسأت فبيده عقوبتي وقد وقع عليّ بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟

قال أليْفِر: أتُحاجُّ الله يا أيوب في أمره، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطيء، أو تبرئها وأنت غير بريء؟ خلق السموات والأرض بالحق، وأحصى ما فيهما من الخلق، فكيف لا يعلم ما أسررت، وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيتك به؟ وضع الله ملائكة صفوفًا حول عرشه وعلى أرجاء سمواته، ثم احتجب بالنور، فأبصارهم عنه كليلة، وقوتهم عنه ضعيفة، وعزيزهم عنه ذليل، وأنت تزعم أن لو خاصمك وأدلي إلى الحكم معك، وهل تراه فتناصفه؟ أم هل تسمعه فتجاوزه؟ قد عرفنا فيك قضاءه، إنه من أراد أن يرتفع وضعه، ومن اتضع له رفعه.

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره؟ لا يردُّ غضبه شيء إلا رحمة، ولا ينفع عبده إلا التضرُّع له قال: ربِّ أقبل عليّ برحمتك، وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت أو لأيّ شيء صرفت وجهك الكريم عني، وجعلتني لك مثل العدوِّ وقد كنت تكرمني؟ ليس يغيب عنك شيء تُحصي قطر الأمطار وورق الأشجار وذرّ التراب، أصبح جلدي كالثوب العفن، بأيه أمسكت سقط في يدي، فهب لي قُرْبانا من عندك، وفرجا من بلائي، بالقدره التي تبعث موتى العباد وتنشر بها ميت البلاد، ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي، ولا تُفسد عمل يديك وإن كنت غنيًّا غني ليس ينبغي في حكمك ظلم، ولا في نقيمتك عَجَل، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وإنما يعجل من يخاف الفوت ولا تذكرني خطئي وذنوبي، اذكر كيف خلقتني من طين فجعلتني مضغّة، ثم خلقت المضغّة عظامًا، وكسوت العظام لحما وجلدا، وجعلت العصب والعروق لذلك قوامًا وشدّة، وربّيتني صغيرًا، ورزقتني كبيرًا، ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك فإن أخطأت فبين لي ولا تهلكني غمًّا، وأعلمني ذنبي فإن لم أرضك فأنا أهل أن تعدّبني، وإن كنت من بين خلقك تحصي عليّ عملي، وأستغفرك فلا تغفر لي. إن أحسنت لم أرفع رأسي، وإن أسأت لم تبلعني ريقِي ولم تُقلني عثرتي، وقد ترى ضعفي تحتك وتضرّعي لك، فلم خلقتني؟ أو لم أخرجتني من بطن أمي؟ لو كنت كمن لم يكن لكان خيرًا لي، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك، وليس جسدي يقوم بعذابك، فأرحمني وأذقني طعم العافية من قبل أن أصير إلى ضيق القبر وظلمة الأرض وغمّ الموت

قال صافر: قد تكلمت يا أيوب وما يطيق أحد أن يحبس فمك تزعم أنك بريء، فهل ينفعك إن كنت بريئاً وعليك من يحصي عملك؟ وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك، هل تعلم سَمَك السماء كم بعده؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده؟ أم هل تعلم أيُّ الأرض أعرضُها؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به؟ أم هل تعلم أيُّ البحر أعمقه؟ أم هل تعلم بأيُّ شيء تحبسه؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه، فإن الله خلقه وهو يحصيه، لو تركت كثرة الحديث وطلبت إلى ربك رجوت أن يرحمك، فبذلك تستخرج رحمته، وإن كنت تقيم على خطيئتك وترفع إلى الله يديك عند الحاجة وأنت مُصِرٌّ على ذنبك إصرار الماء الجاري في صَبَب لا يستطاع إحباسه، فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسودُّ وجوه الأشرار وتظلم عيونهم، وعند ذلك يُسرُّ بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم، وتقدّموا في التضرّع، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها، وهم الذين كابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الأسحار.

قال أيوب: أتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يُوقرونني، وأنا معروف حقي، مُتَّصِفٌ من خصمي، قاهر لمن هو اليوم يقهرني، يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه، ويسألني، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك، ولكنه يبكي معه. وإن كنت جاداً فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه، فسل طير السماء هل تخبرك؟ وسل وحوش الأرض هل تزجج إليك؟ وسل سباع البرية هل تجيبك؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عددت؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته وهبأه بلطفه. أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه وما طعم بفيه وما شمَّ بأنفه؟ وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه، له الحكمة والجبروت وله العظمة واللطف وله الجلال والقدرة؟ إن أفسد فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يُفصح؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه، وإن أذن لها ابتلعت الأرض، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه، وتطيش العلماء عند علمه، وتعي الحكماء عند حكمته، ويخسأ المبطلون عند سلطانه. هو الذي يذكر المنسي، وينسى المذكور، ويجري الظلمات والنور. هذا علمي، وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي.

قال بلدد: إن المنافق يُجرى بما أسرَّ من نفاقه، وتضلُّ عنه العلانية التي خادع بها، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها، وبهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة، ويوحش سبيله، وتوقعه في الأحبولة سريرته، وينقطع اسمه من الأرض، فلا ذكر فيها ولا عمران، لا يرثه ولد مصلحون من بعده، ولا يبقى له أصل يعرف به، ويبعث من يراه، وتقف الأشعار عند ذكره

قال أيوب: إن أكن غويًّا فعليّ غواي، وإن أكن بريًّا فأبيّ منعة عندي؟ إن صرخت فمن ذا الذي يُصرخني؟ وإن سكت فمن ذا الذي يَعذرنني؟ ذهب رجائي، وانقضت أحلامي، وتنكرت لي معارفي دعوت غلامي فلم يجبني، وتضرّعت لأمتي فلم ترحمني، وقع عليّ البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشدَّ عليّ من مصيبي. انظروا وابهتوا من العجائب التي في جسدي أما سمعتم بما أصابني وما شغلكم عني ما رأيتم بي؟ لو كان عبد يخاصم ربه، رجوت أن تغلب عند الحكم، ولكن لي ربًّا جبارا تعالى فوق

سمواته، وألقاني ها هنا، وهُنْتُ عليه، لا هو عذرتني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي. يسمعني ولا أسمعُه ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلّى لي لذابت كليتي، وصَعِقَ روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي ونزع الهبة مني، علمت بأيّ ذنب عدّبتني

نودي فقيل: يا أيوب قال: لبيك قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فأشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمام في فم الأسد، والسّخال في فم العنقاء، واللحم في فم الثّنين، وبكيل مكيالاً من النور، ويزن مثقالاً من الريح، ويضّر صُرّة من الشمس، ويردّ أمس لغد لقد متّتك نفسك أمراً ما يبلغ بمثل قوّتك، ولو كنت إذ متّتك نفسك ذلك ودعتك إليه، تذكرت أيّ مرَامٍ رامت بك أردت أن تخاصمني بغيك، أم أردت أن تحاجّني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك؟ أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأيّ مقدار قدّرتها؟ أم كنت معي تمرّ بأطرافها؟ أم تعلم ما بُعد زواياها؟ أم على أيّ شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض، أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا يعلّاق تثبت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، ألا يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها، أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري كم من مثقال فيها؟ أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تشير السحاب وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أيّ شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء؟ أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزنة الثلج، أو أين خزائن المبر، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزنة الليل بالنهار، وأين خزنة النهار بالليل، وأين طريق النور، وبأيّ لغة تتكلم الأشجار، وأين خزنة الريح، وكيف تحبسه الأغلاق، ومن جعل العقول في أجواف الرجال، ومن شقّ الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدوابّ بحكمته؟ ومن قسم للأسد أرزاقها وعرّف الطير معاشها وعطفها عليّ أفراخها؟ من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات ولا تهاب المسلطين؟ أمن حكمتك تفرّعت أفراخ الطير وأولاد الدوابّ لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وأثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى؟ أين أنت مني يوم خلقت بهموت، مكانه في منقطع التراب، والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران، أذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال، رؤسهما كأنها أكام الجبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكان جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمّد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أنت ملأن جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤسهما دماغاً؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوّة التي عملتهما يدان؟ أو هل

يبلغ من قوّتك أن تخطم على أنوفهما، أو تضع يدك على رؤسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدّهما عن قوّتهما؟ أين أنت يوم خلقت الثّنين ورزقه في البحر ومسكنه في السحاب؟ عيناها توّقدان ناراً، ومنخراه يثوران دخاناً، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأن إعصار العجاج، جوفه يحترق وتفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكان صريف أسنانه صوت الصواعق، وكان نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمرّ به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل (زُبْر) الحديد عنده مثل التبن، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النَّشَاب، ولا يحسّ وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كلّ شيء يمرّ به ملك الوحوش، وإياه أثرت بالقوّة على خلقي هل أنت أخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه أو واضع اللجام في شذقه؟ أتظنه يوفي بعهدك أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره أم هل تدري أجله أو تفوّت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خزّب من الأرض، أم ماذا يخزّب فيما بقي من عمره؟ أتطبق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: قَصُرْتُ عن هذا الأمر الذي تعرض لي ليت الأرض انشقت بي فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي اجتمع عليّ البلاء إلهي جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت لا يعجزك شيء ولا يخفي عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة، مَنْ هذا الذي يظنّ أن يُسيّر عنك سرّاً، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف. إنما كنت أسمع بسطوتك سمعاً، فأما الآن فهو بصر العين. إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود. قد وضعت يديّ على فمي، وعصّضت على لساني، وألصقت بالتراب خديّ، ودست وجهي لصغاري، وسكتّ كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك وأهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قرباناً، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليمانيّ، وغيره من أهل الكتب الأول: أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلاً من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونبأه، وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال، وبسط عليه من الدنيا فوسّع عليه في الرزق. وكانت له البتنية من أرض الشام، أعلاها وأسفلها وسهلها وجبلها. وكان له فيها من أصناف المال كله، من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة. وكان الله قد أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء. وكان برّاً تقيّاً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويحمل الأرامل ويكفل الأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل. وكان شاكراً لأنعم الله عليه مؤدياً لحقّ الله في الغنى قد امتنع

من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزّة والغفلة والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا. وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدّقوه وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه، منهم رجل من أهل اليمن يقال له: أليفز، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما: صوفر، وللآخر: بلدد، وكانوا من بلاده كهولاً. وكان لإبليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه فصعد إلى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه، فقال الله له أو قيل له عن الله: هل قدرت من أيوب عبدي على شيء؟ قال: أي ربّ وكيف أقدر منه على شيء؟ أو إنما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية، وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله، فما له لا يشكرك ويعبدك وبطيعك وقد صنعت ذلك به؟ لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك ولترك عبادتك، ولخرج من طاعتك إلى غيرها أو كما قال عدو الله. فقال: قد سلطتك على أهله وماله وكان الله هو أعلم به، ولم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء، وليجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسّوا به، وليرجوا من عاقبة الصبر في عرّض الدنيا ثواب الآخرة وما صنع الله بأيوب. فانحط عدو الله سريعاً، فجمع عفاريت الجنّ ومردة الشياطين من جنوده، فقال: إني قد سلطت على أهل أيوب وماله، فماذا عليكم؟ فقال قائل منهم: أكون أعصاراً فيه نار، فلا أمر بشيء من ماله إلا أهلكته قال: أنت وذاك. فخرج حتى أتى إبله، فأحرقها ورعاها جميعاً. ثم جاء عدو الله إلى أيوب في صورة قيّمه عليها وهو في مصلى فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري، فجتتك أخبرك بذلك. فعرفه أيوب، فقال: الحمد لله الذي هو أعطاه وهو أخذها الذي أخرجك منها كما يخرج الزّوان من الحبّ النقيّ. ثم انصرف عنه، فجعل يصيب ماله مالا مالا حتى مرّ على آخره، كلما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر على البلاء. حتى إذا لم يبق له مال أتى أهله وولده، وهم في قصر لهم معهم حظيانهم وخدمهم، فتمثّل ربحاً عاصفاً، فاحتل القصر من نواحيه فألقاه على أهله وولده، فشدخهم تحته. ثم أتاه في صورة قهرمانه عليهم، قد شدخ وجهه، فقال: يا أيوب قد أتت ريح عاصف، فاحتملت القصر من نواحيه ثم ألقته على أهلك وولدك فشدختهم غيري، فجتتك أخبرك ذلك. فلم يجزع على شيء أصابه جزعه على أهله وولده، وأخذ تراباً فوضعه على رأسه، ثم قال: ليت أُمّي لم تلدني ولم أك شيئاً وسرّ بها عدو الله منه فأصعد إلى السماء جديلاً. وراجع أيوب التوبة مما قال، فحمد الله، فسبقت توبته عدو الله إلى الله فلما جاء وذكر ما صنع، قيل له قد سبقتك توبته إلى الله ومراجعتة. قال: أي ربّ فسلطني على جسده قال: قد سلطتك على جسده إلا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره. فأقبل إليه عدو الله وهو ساجد، فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنيه إلى قدمه كحريق النار، ثم خرج في جسده ثاليل كآليات الغنم، فحكّ بأظفاره حتى ذهب، ثم بالفقار والحجارة حتى تساقط لحمه، فلم يبق منه إلا العروق والعصب والعظام عيانه تجولان في رأسه للنظر وقبله للعقل، ولم يخلص إلى شيء من حشو البطن، لأنه لا بقاء

للنفس إلا بها، فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن ابن دينار، عن الحسن أنه كان يقول: مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة في جانب القرية قال وهب بن منبه: ولم يبق من أهله إلا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له، ولا يقدر عدو الله منه على قليل ولا كثير مما يريد. فلما طال البلاء عليه وعليها وسئمها الناس، وكانت تكسب عليه ما تطعمه وتسقيه قال وهب بن منبه: فحدثت أنها التمسست له يوماً من الأيام تطعمه، فما وجدت شيئاً حتى جرت قَرْنَا من رأسها فباعته برغيف، فأتته به فعشته إياه، فلبث في ذلك البلاء تلك السنين، حتى إن كان المارّ ليمرّ فيقول: لو كان لهذا عند الله خير لأراحه مما هو فيه حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، قال: وكان وهب بن منبه يقول: لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً واحداً فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيئاً، اعترض لامرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس، له عظم وبهاء وجمال ليس لها، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلي؟ قالت نعم. قال: هل تعرفيني؟ قالت لا. قال: فأنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت، وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه. قال: وقد سمعت أنه إنما قال: لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسمِّ عليه لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم. وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها. فرجعت إلى أيوب، فأخبرته بما قال لها وما أراها قال: أو قد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك؟ ثم أقسم إن الله عافاه ليضربها مئة ضربة فلما طال عليه البلاء، جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدّقوه، معهم فتى حديث السنِّ قد كان آمن به وصدّقه، فجلسوا إلى أيوب ونظروا إلى ما به من البلاء، فأعظموا ذلك وقطعوا به، وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده، وذلك حين أراد الله أن يفترج عنه ما به فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه، قال: أي ربّ لأيّ شيء خلقتني ولو كنت إذ قضيت عليّ البلاء تركتني فلم تخلقني؟ ليتني كنت دماً ألقيني أمي. ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل بن عبد الكريم، إلى: وكابدوا الليل، واعتزلوا الفراش، وانتظروا الأسحار ثم زاد فيه: أولئك الأمنون الذي لا يخافون، ولا يهتمون ولا يحزنون، فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم؟

قال فتى حضرهم وسمع قولهم ولم يفطنوا له ولم يابهاوا لمجلسه، وإنما قيضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق وشططهم، فأراد الله أن يصغر به إليهم أنفسهم وأن يسقّه بصغره لهم أحلامهم فلما تكلم تمادى في الكلام، فلم يزد إلا حكماً. وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع إذا وُعطوا أو دُكروا فقال: إنكم تكلمتم قبلي أيها الكهول، وكنتم أحقّ بالكلام وأولى به مني لحق أسنانكم، ولأنكم جرّبتكم قبلي ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم وعرفتم ما لم أعرف، ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم ومن الموعظة أحكم من الذي وصفتكم، وقد

كان لأيوب عليكم من الحقِّ والدِّمام أفضلُّ من الذي وصفتُم، هل تدرُونَ أيُّها الكهول حقٌّ من انتقصتُم وحرمة من انتهكتُم ومن الرجل الذي عبتُم وآتهمتم؟ ولم تعلموا أيُّها الكهول أن أيوب نبيُّ الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا، اختاره الله لوحيه واصطفاه لنفسه وأتمنه على نبوته، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئاً من أمره مذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه بها مذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا، ولا أن أيوب عَيَّر الحقَّ في طول ما صحبتُموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم، فقد علمتُم أن الله يتلى النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ولا في النبوة ولا في الأثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة، إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة، لكان لا يجمل بالحكيم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيِّره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكن يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مرأشده أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا، فاللَّه اللّهُ أيُّها الكهول في أنفسكم

قال: ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال، وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت: ما يقطع لسانك، ويكسر قلبك، وينسيك حججك؟ ألم تعلم يا أيوب أن لله عبادة أسكتتهم خشيته من غير عيٍّ ولا بكَم وإنهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء العالمون بالله وبآياته؟ ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت أسلنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً لله وإعزازاً وإجلالاً، فإذا استفاقوا من ذلك استَبَقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يَعُدُّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأنزاه برآء، ومع المقصِّرين والمفترِّطين، وإنهم لأكياس أقوياء، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون لله بالقليل، ولا يُدِلُّون عليه بالأعمال فهم مروِّعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب.

قال أيوب: إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السنِّ ولا الشبيبة ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة، ولكنكم قد أعجبتكم أنفسكم وطننتم أنكم عوفيتُم باحسانكم، فهنالكَ بغيتُم وتعزَّزتم، ولو نظرتُم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتُم أنفسكم لوجدتُم لكم عيوباً سترها الله بالعافية التي ألبسكم ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، قد كنت فيما خلا مسموعاً كلامي معروفاً حقي منتصفاً من خصمي قاهراً لمن هو اليوم يقهرني مهيباً مكاني والرجال مع ذلك ينصتون لي ويوقرونني، فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ورفع حذري وملني أهلي وعقني أرحامي وتكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وكفرني أهل بيتي وجحدتْ حقوقني ونُسيت صنائعي، أصرخ فلا يُصْرخونني وأعتذر فلا يعذرونني، وإن قضاءه هو الذي أدلني وأقماني وأخسانني، وإن سُلطانهُ هو الذي أسقمني وأنحل جسمي. ولو أن ربي نزع الهيئة التي في

صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد يحاج عن نفسه، لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني، فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه لا نظر إلي فرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده، أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودي منه، ثم قيل له: يا أيوب، إن الله يقول: ها أنا ذا قد دنوت منك، ولم أزل منك قريباً، فقم فأدل بعذرك الذي زعمت، وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك، واشدد إزارك ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل، إلى آخره، وزاد فيه: ورحمتي سبقت غضبي، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك، وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه وزعموا: ومثله معه لتكون لمن خلفك آية، ولتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فركض برجله، فانفجرت له عين، فدخل فيها فاغتسل، فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء. ثم خرج فجلس، وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه، فلم تجده، فقامت كالوالهة متلذدة، ثم قالت: يا عبد الله، هل لك علم بالرجل المبتلي الذي كان هنا؟ قال: لا ثم تبسم، فعرفته بمضحكه، فاعتنفته.

18679- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: فحدثت عبد الله بن عباس حديثه واعتناقها إياه، فقال عبد الله: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقت من عناقه حتى مرّ بها كل مال لهما وولد.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه أنه دعاها حين سألت عنه، فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيت؟ قالت: نعم، ومالي لا أعرفه؟ فتبسم، ثم قال: ها أنا هو، وقد فرّج الله عني ما كنت فيه. فعند ذلك اعتنفته. قال وهب: فأوحى الله في قسمه ليضربها في الذي كلمته، أن وخذ بيدك ضغناً فاضرب به ولا تحثت أي قد برت يمينك. يقول الله تعالى: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ يقول الله: وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

18680- حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن، قال: لقد مكث أيوب مطروحاً على كناسة سبع سنين وأشهرها ما يسأل الله أن يكشف ما به. قال: وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب. فيزعمون أن بعض الناس قال: لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا فعند ذلك دعا.

18681- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، عن يونس، عن الحسن، قال: بقي أيوب على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرها تختلف عليه الدواب.

18682- حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن وهب بن منبه، قال: لم يكن بأيوب أكلة، إنما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينقفه.

18683- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا مخلد بن حسين، عن هشام، عن الحسن، وحجاج عن ميارك، عن الحسن: زاد أحدهما على الآخر قال: إن أيوب أتاه الله مالاً وأوسع عليه، وله من

النساء والبقر والغنم ولإيل. وإن عدوّ الله إبليس قيل له: هل تقدر أن تفتن أيوب؟ قال: ربّ إن أيوب أصبح في دنيا من مال وولد، ولا يستطيع أن لا يشكرك، ولكن سلطني على ماله وولده فسيتري كيف يطيعني ويعصيك قال: فسلطه على ماله وولده. قال: فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران، ثم يأتي أيوب وهو يصلي متشبهًا براعي الغنم، فيقول: يا أيوب تصلي لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيئًا من الغنم إلا أحرقتها بالنيران، وكنت ناحية فجئت لأخبرك. قال: فيقول أيوب: اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت، مهما تبقى نفسي أحمدك على حُسن بلائك فلا يقدر منه علي شيء مما يريد ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران، ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك، ويردّ عليه أيوب مثل ذلك. قال: وكذلك فعل بإيل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده، فقال: يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت حتى هلكوا فيقول أيوب مثل ذلك. قال: ربّ هذا حين أحسنت إليّ الإحسان كله، قد كنت قبل اليوم يشغلني حبّ المال بالنهار ويشغلني حبّ الولد بالليل شفقة عليهم، فالآن أفرغ سمعي وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد والتقديس والتهليل فينصرف عدوّ الله من عنده لم يصب منه شيئًا مما يريد.

قال: ثم إن الله تبارك وتعالى قال: كيف رأيت أيوب؟ قال إبليس: أيوب قد علم أنك سترّد عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده، فإن أصابه الضرّ فيه أطاعني وعصاك قال: فسلط علي جسده، فأناه فنخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه إلى قدمه. قال: فأصابه البلاء بعد البلاء، حتى حمل فوضع على مزبلة كُناسة لبني إسرائيل. فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته، صبرت معه بصدق، وكانت تأتيه بطعام، وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله، والتحميد والثناء على الله والصبر على ما ابتلاه الله. قال الحسن: فصرخ إبليس عدوّ الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعا من صبر أيوب فاجتمعوا إليه وقالوا له: جمعتنا، ما خبرك؟ ما أعياك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا، فلم يزد بذلك إلا صبرا وثناء على الله وتحميدا له، ثم سلّطت علي جسده فتركته فُرحة ملقاة على كُناسة بني إسرائيل، لا يقربه إلا امرأته، فقد افتضحت بربي، فاستعنت بكم، فأعينوني عليه قال: فقالوا له: أين مكرك؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب، فأشيروا عليّ قالوا: نشير عليك، رأيت آدم حين أخرجته من الجنة، من أين أتيته؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فشأنك بأيوب من قبل امرأته، فإنه لا يستطيع أن يعصياها وليس أحد يقربه غيرها. قال: أصبتم. فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدّق، فتمثّل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحكّ قروحه ويتردّد الدوابّ في جسده. فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوقع في صدرها فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدوابّ، وذكرها جمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضرّ، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا. قال الحسن: فصرخت فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت، أتاها بسخلة، فقال: ليذبح هذا إليّ أيوب وبيرا، قال: فجاءت تصرخ يا أيوب، يا أيوب، حتى

متى يعدُّبك ربك، ألا يرحمك؟ أين الماشية؟ أين المال؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين لونك الحسن؟ قد تغير، وصار مثل الرماد؟ أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب؟ أذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب: أتاك عدوُّ الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبتة، وملك رأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب؟ من أعطانيه؟ قالت: الله. قال: فكم متَّعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر. قال: وملك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت حتى تكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله لأجلدتك مئة جلدة هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرايك الذي تأتيني به عليّ حرام وأن أذوق ما تأتيني به بعد، إذ قلت لي هذا فاعزَّبي عني فلا أراك فطردها، فذهبت، فقال الشيطان: هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فإء بالغلبة ورفضه. ونظر أيوب إلى امرأته وقد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق قال الحسن: ومزَّ به رجلان وهو عليّ تلك الحال، ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذٍ أكرم على الله من أيوب، فقال أحد الرجلين لصاحبه: لو كان لله في هذا حاجة، ما بلغ به هذا فلم يسمع أيوب شيئاً كان أشدَّ عليه من هذه الكلمة.

18684- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: كان لأيوب أخوان، فأتياه، فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه، فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى، قال: فما جزع أيوب من شيء أصابه جزعه من كلمة الرجل. فقال أيوب: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شعبان قط وأنا أعلم مكان جائع فصدَّقني فصدَّق وهما يسمعان. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكان عار فصدَّقني فصدَّق وهما يسمعان. قال: ثم خرَّ ساجدا.

18685- فحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: فحدثني مخلد بن الحسين، عن هشام، عن الحسن، قال: قال: فقال: ربِّ إني مسني الضَّرُّ ثم ردَّ ذلك إلى ربه فقال: وأنت أرحم الراحمين.

18686- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن جرير، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك.

18687- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن ومخلد، عن هشام، عن الحسن، دخل حديث أحدهما في الآخر، قال: فقيل له: اركض برجلك هَذَا مُعْتَسِلٌ بارِدٌ وَشَرَابٌ فركض برجله فنبعت عين، فاغتسل منها، فلم يبق عليه من دأئه شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله كل ألم وكل سقم، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان. ثم ضرب برجله، فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحا، وكسبي حلة. قال: فجعل يتلفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له، حتى والله دُكر لنا أن الماء الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب. قال: فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال:

بلى، ولكنها بركتك، فمن يشيع منها؟ قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن امرأته قالت: أرايت إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً أو يضيع فتأكله السباع؟ لأرجعن إليه فرجعت، فلا كنانة ترى، ولا من تلك الحال التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وذلك بعين أيوب قال: وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأل عنه، فأرسل إليها أيوب فدعاها، فقال: ما تريدن يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلي الذي كان منبوذاً على الكناسة، لا أدري أضع أم ما فعل. قال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت وقالت: بعلي، فهل رأيتني وهي تبكي إنه قد كان ها هنا؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيتني؟ قالت: وهل يخفي على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً. قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح للشيطان، وإنني أطعت الله وعصيت الشيطان، فدعوت الله فردد علي ما ترين. قال الحسن: ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفاً عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفاً عنها بصبرها معه.

18688- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، قوله: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ... إلى آخر الآيتين، فإنه لما مسه الشيطان بضرب وعذاب، أنساه الله الدعاء أن يدعو فيكشف ما به من ضرر، غير أنه كان يذكر الله كثيراً، ولا يزيد البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيمان. فلما انتهى الأجل وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرر أذن له في الدعاء وبشره له، وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ثم لا أستجيب له فلما دعا استجاب له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، رد إليه أهله ومثلهم معهم، وأثنى عليه فقال: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ. واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله: وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ أُمَمٌ أهله الذين أوتاهم في الدنيا، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة؟ فقال بعضهم: إنما أتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتاهم في الآخرة.

18689- حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب: وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ فَقَالَ: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وأتيناك مثلهم في الدنيا. فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتى مثلهم في الدنيا. قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب.

وقال آخرون: بل ردّهم إليه بأعيانهم وأعطاهم مثلهم معهم. ذكر من قال ذلك:

18690- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام بن سلم، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك، عن ابن مسعود: وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قَالَ: أهله بأعيانهم.

18691- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس: لما دعا أيوب استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ردًا إليه أهله ومثلهم معهم.

18692- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد: وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم.

18693- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: قيل له: إن شئت أحيناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطي مثلهم في الدنيا. فاختار أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا.

18694- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ قال الحسن وقتادة: أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم.

وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه. ذكر من قال ذلك:

18695- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل، عن الحسن: وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: من نسلهم.

وقوله: رَحْمَةً نَصَبْتُ بِمَعْنَى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له. وقوله: وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ يقول: وتذكره للعبادين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به ويعلموا أن الله قد يتلى أوليائه ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختباراً منه له ليبلي بصره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده. وقد:

18696- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ وقوله: (رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) قال: أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبياً من الأنبياء.

الآية : 85 و 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ}.

يعني تعالى ذكره بإسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد، وإدريس: أخنوخ، وبذي الكفل: رجلاً تكفل من بعض الناس، إما من نبيٍّ وإما من ملكٍ من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثني الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله. وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء. ذكر الرواية بذلك عنهم:

18697- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان،

عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث: أن نبياً من الأنبياء، قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام شاب فقال: أنا. فقال: اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا. فقال: اجلس ثم عاد

فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا فقال: تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب. فمات ذلك النبي، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس، فكان لا يغضب. فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل، فضرب الباب ضرباً شديداً، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة. فأرسل معه رجلاً، فقال: لا أرضى بهذا الرجل. فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا. فخرج إليه فأخذ بيده فانطلق معه، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب، فسُمِّي ذا الكفل.

18698- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثنا داود، عن مجاهد، قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل. قال: فجمع الناس، فقال: من يتقبل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ قال: فقام رجل تزدر به العين، فقال: أنا. فقال: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم. قال: فردّهم ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل، فقال: أنا. فاستخلفه. قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان فأعياهم، فقال: دعوني وإياه فأناه في صورة شيخ كبير فقير، فأناه حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة، فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب، فجعل يقصّ عليه، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا. فجعل يطوّل عليه، حتى حضر الرّواح وذهبت القائلة، وقال: إذا رحمت فأتني أخذ لك بحقك فانطلق وراح، فكان في مجلسه، فجعل ينظر هل يرى الشيخ، فلم يره، فجعل يبتغيه. فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه. فلما رجع إلى القائلة، فأخذ مضجعه، أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له، فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ فقال: إنهم أخبث قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني. قال: فانطلق فإذا رحمت فأتني قال: ففاتته القائلة، فراح فجعل ينظر فلا يراه، فشقّ عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعُنّ أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام، فإني قد شقّ عليّ النوم فلما كان تلك الساعة جاء، فقال له الرجل وراءك، فقال: إني قد أتيتك أمس فذكرت له أمري، قال: والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه. فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت، فتسوّر منها، فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب، قال: واستيقظ الرجل فقيل: يا فلان، ألم أمرك؟ قال: أما من قبلي والله فلم تُؤت، فانظر من أين أتيت قال: فقام إلى الباب، فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا هو معه في البيت، فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال: نعم أعييتني في كل شيء، ففعلت ما ترى لأعضيك. فسماه ذا الكفل، لأنه تكفل بأمر فوفى به.

18699- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، في قوله: وَذَا الْكِفْلِ قَالَ رَجُلٌ صَالِحٌ غَيْرُ نَبِيِّ، تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمه لهم ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك، فسُمِّي ذا الكفل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن
أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه، إلا أنه قال: ويقضي بينهم بالحقّ.

18700_ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن
جريح، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس قال: كان في بني إسرائيل
ملك صالح، فكبر، فجمع قومه فقال: أيكم يكفل لي بملكي هذا على أن
يصوم النهار ويقوم الليل ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ولا
يغضب؟ قال: فلم يقم أحد إلا فتى شاب، فازدراه لحدائثة سنه، فقال:
أيكم يكفل لي بملكك هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب
ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله؟ فلم يقم إلا ذلك الفتى قال:
فازدراه. فلما كانت الثالثة قال مثل ذلك، فلم يقم إلا ذلك الفتى، فقال:
تعال فخلي بينه وبين ملكه. فقالم الفتى ليلة فلما أصبح جعل يحكم
بين بني إسرائيل فلما انتصف النهار دخل ليقيل، فأتاه الشيطان في
صورة رجل من بني آدم، ف جذب ثوبه، فقال: أتنام والخصوم بابك؟ قال:
إذا كان العشيّة فأتني قال فانتظره بالعشيّ فلم يأته فلما انتصف النهار
دخل ليقيل، جذب ثوبه وقال: أتنام والخصوم على بابك؟ قال: قلت
لك: أئتني العشيّ فلم تأتني، أئتني، بالعشيّ فلما كان بالعشيّ انتظره
فلم يأت فلما دخل ليقيل جذب ثوبه، فقال: أتنام والخصوم بابك؟
قال: أخبرني من أنت، لو كنت من الإنس سمعت ما قلت قال: هو
الشيطان، جئت لأفتنك فعصمك الله مني. فقضي بين بني إسرائيل بما
أنزل الله زماناً طويلاً، وهو ذو الكفل، سُمي ذا الكفل لأنه تكفل بالملك.

18701_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن
أبي موسى الأشعريّ، قال وهو يخطب الناس: إن ذا الكفل لم يكن نبياً
ولكن كان عبداً صالحاً، تكفل بعمل رجل صالح عند موته، كان يصلي لله
كل يوم مئة صلاة، فأحسن الله عليه الثناء في كفالاته إياه.

18702_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم، قال: حدثنا عمرو، قال: أمّا
ذو الكفل فإنه كان على بني إسرائيل ملك فلما حضره الموت، قال: من
يكفل لي أن يكفيني بني إسرائيل ولا يغضب ويصلي كل يوم مئة صلاة؟
فقال ذو الكفل: أنا. فجعل ذو الكفل يقضي بين الناس، فإذا فرغ صلى
مئة صلاة. فكاده الشيطان، فأمهله حتى إذا قضى بين الناس وفرغ من
صلاته وأخذ مضجعه فنام، أتى الشيطان بابه فجعل يدقه، فخرج إليه،
فقال: ظلّمت وصنّعت بي فأعطاه خاتمه وقال: اذهب فأتني بصاحبك
وانتظره، فأبطأ عليه الآخر، حتى إذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه، أتى
الباب أيضاً كي يغضبه، فجعل يدقه، وخذش وجه نفسه فسالت الدماء،
فخرج إليه فقال: ما لك؟ فقال: لم يتبعني، وضربت وفعل فأخذه ذو
الكفل، وأنكر أمره، فقال: أخبرني من أنت؟ وأخذه أخذاً شديداً، قال:
فأخبره من هو.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة،
في قوله: وَذَا الْكِفْلِ قَالَ: قال أبو موسى الأشعريّ: لم يكن ذو الكفل
نبياً، ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مئة صلاة، فوفى، فكفل
بصلاته، فلذلك سُمي ذا الكفل.

وُنصِبَ «إسماعيل» و «إدريس» و «ذا الكفل»، عطفًا على «أيوب»، ثم استؤنف بقوله: كُلُّ فَقَالَ: كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله.
 وقوله: وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل والهاء والميم عائدتان عليهم في رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ يقول: إنهم ممن صلح، فأطاع الله وعمل بما أمره.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَدَا التَّوْنِ إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: واذكري يا محمد ذا النون، يعني صاحب النون. والنون: الحوت. وإنما عني بذي النون: يونس بن متى، وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغني عن ذكره في هذا الموضع، وقوله: إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا يقول: حين ذهب مغاضبا.
 واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا، وعن كان ذهابه، وعلى من كان غضبه، فقال بعضهم: كان ذهابه عن قومه وإياهم غاضب. ذكر من قال ذلك:

18703- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَدَا التَّوْنِ إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا يقول: غضب على قومه.

18704- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا أما غضبه فكان على قومه.

وقال آخرون: ذهب عن قومه مغاضبا لربه، إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه. ذكر من قال ذلك: وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم:
 18705- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعثه الله يعني يونس إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه. فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه، فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم. فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صباحها أدلج وراه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مر به ما، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها. وعجوا إلى الله وتابوا إليه. فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب. قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدَّ عنهم ومضى على وجهه مغاضبا.

18706- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبي الحسن, قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب, انطلق مغاضبا لربه, واستزله الشيطان.

18707- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة, عن مجالد بن سعيد, عن الشعبي, في قوله: إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا قَالَ: مغاضبا لربه.

18708- حدثنا الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن عبد الملك, عن سعيد بن جبیر فذكر نحو حديث ابن حميد, عن سلمة, وزاد فيه: قال: فخرج يونس ينظر العذاب, فلم ير شيئا, قال: جرّبوا عليّ كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر.

18709- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن, عن وهب بن منبه اليماني, قال: سمعته يقول: إن يونس بن متى كان عبدا صالحا, وكان في خلقه ضيق. فلما حملت عليه أثقال النبوة, ولها أثقال لا يحملها إلا قليل, تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل, فقذفها بين يديه, وخرج هاربا منها. يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ: أي لا تُلقِ أمري كما ألقاه.

وهذا القول, أعني قول من قال: ذهب عن قومه مغاضبا لربه, أشبه بتأويل الآية, وذلك لدلالة قوله: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ. على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه, إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه واستعظاما له. وهم يقيلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا, وذلك أن الذين قالوا: ذهب مغاضبا لربه اختلفوا في سبب ذهابه كذلك, فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم, واستحيا منهم, ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء. وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذي فارقهم قتل من جرّبوا عليه الكذب, عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب, فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك. وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس, فكرهنا إعادته في هذا الموضوع.

وقال آخرون: بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه, فسأل ربه أن يُنظره ليتأهب للشخص إلى بهم, فقبل له: الأمر أسرع من ذلك ولم يُنظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلًا ليلبسها, فقبل له نحو القول الأول. وكان رجلاً في خلقه ضيق, فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلًا فذهب مغاضبا. وممن ذكر هذا القول عنه: الحسن البصري.

18710- حدثني بذلك الحارث, قال: حدثنا الحسن بن موسى, عن أبي هلال, عن شهر بن حوشب, عنه.

قال أبو جعفر: وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضبا لقومه لأن ذهابه عن قومه مغاضبا لهم, وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم, ليلبغهم رسالته ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الإيمان به والعمل بطاعته لا شك أن فيه ما فيه. ولولا أنه قد كان

صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لبيته صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْطُومٌ ويقول: فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

وقوله: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فقال بعضهم: معناه: فظنَّ أن لن نعاقبه بالتضييق عليه. من قولهم قدرت على فلان: إذا ضيقت عليه، كما قال الله جل ثناؤه: وَمَنْ قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ. ذكر من قال ذلك:

18711- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول: ظنَّ أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه.

18712- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول: ظنَّ أن لن نقضيه عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم وفراره. وعقوبته أخذ النون إياه.

18713- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: فظنَّ أن لن نعاقبه بذنبه.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا زيد بن حباب، قال: ثني شعبة، عن مجاهد، ولم يذكر فيه الحكم.

18714- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: يقول: ظنَّ أن لن نعاقبه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة والكلبي: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قالوا: ظنَّ أن لن نقضيه عليه العقوبة.

18715- حدثت عن الحسين. قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول: ظنَّ أن الله لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفراقه إياهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن ابن عباس، في قوله: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: البلاء الذي أصابه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظنَّ أنه يُعجز ربه فلا يقدر عليه. ذكر من قال ذلك:

18716- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عوف، عن سعيد بن أبي الحسن، قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب، انطلق مغاضبا لربه، واستزله الشيطان، حتى ظن أن لن نقدر عليه. قال: وكان له سلف وعبادة وتسبيح. فأبى الله أن يدعه للشيطان، فأخذه فقفذه في بطن الحوت، فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم، فأمسك الله نفسه، فلم يقتله هناك. فتأب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه. قال: فقال: سُبْحَانَكَ إِلَهِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ قال: فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته بما كان سلف من العبادة

والتسبيح, فجعله من الصالحين. قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه:
وبنيت لك مسجدا في مكان لم بينه أحد قبلي.

18717- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوزة, قال: حدثنا عوف, عن
الحسن: قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ وَكَانَ لَهُ سَلْفٌ مِنْ عِبَادَةِ وَتَسْبِيحِ,
فتداركه الله بها فلم يَدَعَهُ للشيطان.

18718- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن عبد
الرحمن بن الحارث, عن إياس بن معاوية المدني, أنه كان إذا ذكر عنده
يونس, وقوله: قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ يقول إياس: فِيمَ فَرَّ?
وقال آخرون: بل ذلك بمعنى الاستفهام, وإنما تأويله: أفضنَّ أن لن نقدر
عليه؟ ذكر من قال ذلك:

18719- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في
قوله: قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ قال: هذا استفهام. وفي قوله: فَمَا تُعْنِي
النَّدْرُ قال: استفهام أيضا.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب, قول
من قال: عَنَى بِهِ: فظنَّ يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه, عقوبة له على
مغاضبته ربه.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة, لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر
وقد اختاره لنبوته, وَوَضَّفَهُ بِأَنْ ظَنَّ أَنْ رَبَّهُ يَعْجُزُ عَمَّا أَرَادَ بِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ,
وَضَفُّ لَهُ بِأَنَّهُ جَهْلٌ قُدْرَةَ اللَّهِ, وَذَلِكَ وَصَفٌ لَهُ بِالْكَفْرِ, وَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ
وَضَفَّهُ بِذَلِكَ. وأما ما قاله ابن زيد, فإنه قول لو كان في الكلام دليل على
أنه استفهام حسن, ولكنه لادلالة فيه على أن ذلك كذلك. والعرب لا
تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقيت دليلاً على أنه مراد
في الكلام, فإذا لم يكن في قوله: قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ دلالة على أن
المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد, كان معلوماً أنه ليس به وإذ فسد
هذان الوجهان, صحَّ الثالث وهو ما قلنا.

وقوله: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِهَذِهِ
الظُّلُمَاتِ, فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا ظُلْمَةُ اللَّيْلِ, وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ, وَظُلْمَةُ
بَطْنِ الْحَوْتِ. ذكر من قال ذلك:

18720- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن
إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ
قال: ظلمة بطن الحوت, وظلمة البحر, وظلمة الليل. وكذلك قال أيضا
ابن جُرَيْجٍ.

18721- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن
زياد, عن عبد الله بن أبي سلمة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس,
قال: نادى في الظلمات: ظلمة الليل, وظلمة البحر, وظلمة بطن
الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

18722- حدثني محمد بن إبراهيم السلمى, قال: حدثنا أبو عاصم,
قال: أخبرنا محمد بن رفاعية, قال: سمعت محمد ابن كعب يقول في
هذه الآية: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ قال: ظلمة الليل, وظلمة البحر,
وظلمة بطن الحوت.

18723- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ قَالَ: ظِلْمَةُ اللَّيْلِ، وظِلْمَةُ الْبَحْرِ، وظِلْمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ.

حدثنا محمد بن عبيد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: قَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ قَالَ: ظِلْمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ، وظِلْمَةُ اللَّيْلِ.

وقال آخرون: إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ نَادَى فِي ظِلْمَةِ جَوْفِ حَوْتِ فِي جَوْفِ حَوْتٍ آخَرَ فِي الْبَحْرِ. قالوا: فذَلِكَ هُوَ الظُّلُمَاتِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

18724- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد: قَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَوْتِ أَنْ لَا تَضُرَّ لَهُ لَحْمًا وَلَا عَظْمًا. ثُمَّ ابْتَلَعَ الْحَوْتِ حَوْتٍ آخَرَ، قَالَ: قَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ قَالَ: ظِلْمَةُ الْحَوْتِ، ثُمَّ حَوْتِ، ثُمَّ ظِلْمَةُ الْبَحْرِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ يُونُسَ أَنَّهُ نَادَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ: إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ عَنَى بِأَحَدِ الظُّلُمَاتِ: بَطْنِ الْحَوْتِ، وَبِالْآخَرِ: ظِلْمَةُ الْبَحْرِ، وَفِي الثَّلَاثَةِ اخْتِلَافٌ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الثَّلَاثَةُ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ كَوْنِ الْحَوْتِ فِي جَوْفِ حَوْتٍ آخَرَ. وَلَا دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى أَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَيِّ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنَ التَّسْلِيمِ لظَاهِرِ التَّنْزِيلِ.

وقوله: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ يَقُولُ: نَادَى يُونُسَ بِهَذَا الْقَوْلِ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ تَائِبًا مِنْ خَطِيئَتِهِ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فِي مَعْصِيَتِي إِيَّاكَ. كَمَا:

18725- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ، تَائِبًا مِنْ خَطِيئَتِهِ.

18726- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: أبو معشر: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ: قَوْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مَا صَنَعْتُ مِنْ شَيْءٍ فَلَمْ أَعْبُدْ غَيْرَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ حِينَ عَصَيْتُكَ.

18727- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن عوف الأعرابي، قال: لَمَّا صَارَ يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ. ثُمَّ حَرَّكَ رِجْلَهُ، فَلَمَّا تَحَرَّكَ سَجَدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ نَادَى: يَا رَبِّ اتَّخِذْ لَكَ مَسْجِدًا فِي مَوْضِعٍ مَا اتَّخَذَهُ أَحَدٌ

18728- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق عن حدثه، عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحَوْتِ: أَنْ حُدَّهُ وَلَا تَخْدِشْ لَهُ لَحْمًا وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا فَأَحْدَهُ، ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكِنِهِ مِنَ الْبَحْرِ فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى اسْفَلِ الْبَحْرِ، سَمِعَ يُونُسُ جِسْمًا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ، قَالَ: فَتَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِأَرْضِ غَرِيبَةٍ؟ قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ. قَالُوا:

الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ؟
قَالَ: بَعْمٌ. قَالَ: فَسَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْحَوْتَ فَقَدَفَهُ فِي السَّاحِلِ كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَهُوَ سَقِيمٌ».

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فَاسْتَجَبْنَا لِيُونُسَ دَعَاةَ إِيَابِنَا، إِذْ دَعَانَا فِي بَطْنِ
الْحَوْتِ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِحَيْسِنَاهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ وَعَمَّهُ
بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَكَمَا أَنْجَيْنَا يُونُسَ
مِنْ كَرْبِ الْحَبْسِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ إِذْ دَعَانَا، كَذَلِكَ نُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرْبِهِمْ إِذَا اسْتَعَاثُوا بِنَا وَدَعَوْنَا.

وينحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر. ذكر من قال ذلك:
18729- حدثنا عمران بن بكار الكلاعي، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن،
قال: حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن، قال: ثني بشر بن منصور، عن عليِّ
بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت سعد بن مالك يقول: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اسْمُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ
وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». قال: فقلت: يا رسول الله،
هي ليونس بن ممتى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: «هي ليونس بن
ممتى خاصة، وللمؤمنين عامةً إِذَا دَعَوْا بِهَا أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى قِنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ؟ فَهُوَ
شَرَطَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَاهُ بِهَا».

واختلفت القراء في قراءة قوله: نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ فقراءت ذلك قراء
الأمصار، سوى عاصم، بنونين الثانية منهما ساكنة، من أنجينا، فنحن
ننجيه. وإنما قرءوا ذلك كذلك وكتابه في المصاحف بنون واحدة، لأنه لو
قرىء بنون واحدة وتشديد الجيم، بمعنى ما لم يسم فاعله، كان
«المؤمنون» رفعا، وهم في المصاحف منصوبون، ولو قرىء بنون واحدة
وتخفيف الجيم، كان الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا، ووجب مع ذلك أن
يكون قوله «نجى» مكتوبا بالألف، لأنه من ذوات الواو، وهو في
المصاحف بالياء.

فإن قال قائل: فكيف كتب ذلك بنون واحد، وقد علمت أن حكم ذلك إذا
قرىء: نُنْجِي أَنْ يُكْتَبَ بنونين؟ قيل: لأن النون الثانية لما سكنت وكان
الساكن غير ظاهر على اللسان حذف كما فعلوا ذلك ب «إلا» لا، فحذفوا
النون من «إن» لخفائها، إذ كانت مندغمة في اللام من «لا». وقرأ ذلك
عاصم: «نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ» بنون واحدة، وتشكيل الجيم، وتسكين الياء.
فإن يكن عاصم وجه قراءته ذلك إلى قول العرب: ضرب الضرب زيدا،
فكنى عن المصدر الذي هو النجاء، وجعل الخبر أعني خبر ما لم يسم
فاعله المؤمنين، كأنه أراد: وكذلك نُجِّي النَّجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، فكنى عن
النجاء فهو وجه، وإن كان غيره أصوب، وإلا فإن الذي قرأ من ذلك على ما
قرأه لحن، لأن المؤمنين اسم على القراءة التي قرأها ما لم يسم
فاعله، والعرب ترفع ما كان من الأسماء كذلك. وإنما حمل عاصم على

هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته إياه على ما عليه قراءة القراء إلحاق نون أخرى ليست في المصحف، فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف، ولم يعرف لحذفها وجهها يصرفه إليه. قال أبو جعفر: والصواب من القراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، من قراءته بنونين وتخفيف الجيم، لإجماع الحجة من القراء عليها وتخطئها خلافه.

الآية : 89 و 90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَكْرَبًا إِذْ تَادَى رَبُّهُ رَبًّا لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خاشِعِينَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكريا محمد زكريا حين نادى ربه رَبِّ لَا تَذَرْنِي وَجِيدًا فَرْدًا لَا وَلَدَ لِي وَلَا عَقِبَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني. ثم رد الأمر إلى الله فقال: وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ يقول الله جل ثناؤه: فاستجبنا لزكريا دعاءه، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه، وأصلحنا له زوجه. واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله: وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ فقال بعضهم: كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها ولودا. ذكر من قال ذلك:

18730- حدثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن حميد بن صخر، عن عمار، عن سعيد، في قوله: وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ قال: كانت لا تلد.

18731- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس، في قوله: وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ قال: وهبنا له ولدها.

18732- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ كانت عاقرا، فجعلها الله ولودا، ووهب له منها يحيى. وقال آخرون: كانت سيئة الخلق، فأصلحها الله له بأن رزقها حُسن الخلق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها. ولم يخص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه ولا على لسان رسوله، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

وقوله: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ يقول الله: إن الذين سميانهم يعني زكريا وزوجه ويحيى كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقربهم إلينا. وقوله: وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا. وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال: وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ويعني بقوله: رَغَبًا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِيمَا يَرْجُونَ

منه من رحمته وفضله. وَرَهْبًا يَعْنِي رَهْبَةً مِنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18733- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا قَال: رَغَبًا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَرَهَبًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

18734- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا قَال: خوفًا وطمعًا. قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: رَعَبًا وَرَهَبًا بفتح الغين والهاء من الرَعْب والرَهَب. واختلف عن الأعمش في ذلك، فزويت عنه الموافقة في ذلك للقراء، وزوي عنه أنه قرأها: «رُعَبًا» «وُرُهَبًا» بضم الراء في الحرفين وتسكين الغين والهاء.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار، وذلك الفتح في الحرفين كليهما.

وقوله: وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ يَقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران. ويعني بقوله: أَحْصَنَتْ: حفظت، ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه. واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته، فقال بعضهم: عَنَى بِذَلِكَ فَرْجَ نَفْسِهَا أَنَّهَا حَفِظَتْهُ مِنَ الْفَاحِشَةِ.

وقال آخرون: عَنَى بِذَلِكَ جِيبَ دَرْعِهَا أَنَّهَا مَنَعَتْ جَبْرِيْلَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّهَا وَقَبْلَ أَنْ تُثَبِّتَ مَعْرِفَةَ. قالوا: والذي يدل على ذلك قوله: فَنَفَخْنَا فِيهَا وَبَعَقَبَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا قَالُوا: وَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: وَالَّتِي أَحْصَنَتْ جِيبَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة لأن ذلك هو الأغلب من معنياه عليه والأظهر في ظاهر الكلام. فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا يَقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا. وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله: فَنَفَخْنَا فِيهَا فِي غير هذا الموضع والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أعني عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ يَقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطانتنا وقدرتنا على ما نشاء وقيل «آية» ولم يقل «آيتين» وقد ذكر آيتين لأن معنى الكلام: جعلناهما علمًا لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله وعلى عظم قدرته يقوم مقام الآخر، إذ كان أمرهما في الدلالة على الله واحدًا.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}.

يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة، وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني، وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18735- حدثني عليٌّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً يقول: دينكم دين واحد. 18736- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مجاهد، في قوله: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً قال: دينكم دين واحد.

ونصبت الأمة الثانية على القطع، وبالنصب قرأه جماعة قرّاء الأمصار، وهو الصواب عندنا لأن الأمة الثانية نكرة والأولى معرفة وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب، هذا مع إجماع الحجة من القرّاء عليه، وقد ذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق رفع ذلك أنه قرأه: «أُمَّةً وَاحِدَةً» بنية تكرير الكلام، كأنه أراد: إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ}. يقول تعالى ذكره: وتفترق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه، فصاروا فيه أحزابا فهوّدت اليهود، وتنصّرت النصارى وعُبدت الأوثان. ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هم إليه صائرون، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه متوعداً بذلك أهل الزبغ منهم والضلال، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله: {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18737- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} قال: تقطعوا: اختلفوا في الدين.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ}.

يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرّقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقيّر بواحدانية الله مصدّق بوعدده ووعيده متبرّيء من الأنداد والآلهة فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعاً له، وهو به مؤمن، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه، ولا يكفر ذلك له فيحذه ويحرمه ثوابه على عمله الصالح. وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها فلا نترك منها شيئاً، لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره.

قال أبو جعفر: والكفران مصدر من قول القائل: كفرت فلانا نعمته فأنا
أَكْفُرُهُ كُفْرًا وَكُفْرَانًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ الشَّاعِرُ:
مِنَ النَّاسِ نَاسٌ مَا تَنَامُ حُدُودَهُمْ
وَخَدِّي وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ نَائِمٌ

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: {وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: {وَحَرَامٌ فَقَرَأْتَهُ عَامَةً قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ:
«وَجِزْمٌ» بكسر الحاء. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: {وَحَرَامٌ
بفتح الحاء والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقنا المعنى غير
مختلفيه وذلك أن الجِزْمَ هو الحرام والحرام هو الجِزْمُ، كما الحلُّ هو
الحلال والحلال هو الحلُّ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وكان ابن عباس
يقرؤه: «وَجِزْمٌ» بتأويل: وعزم.

18738- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، عن أبي
المعلّى، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، كان يقرؤها: «وَجِزْمٌ عَلَى
قَرْيَةٍ» قال: فقلت لسعيد: أي شيء حرم؟ قال: عزم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة،
عن أبي المعلّى، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، كان يقرؤها:
«وَجِزْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ» قلت لأبي المعلّى: ما الحرم؟ قال: عزم عليها.

18739- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن
عكرمة، عن ابن عباس: أنه كان يقرأ هذه الآية: «وَجِزْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» فلا يرجع منهم راجع، ولا يتوب منهم تائب.

18740- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا داود عن
عكرمة، قال: {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} قال: لم يكن
ليرجع منهم راجع، حرام عليهم ذلك.

18741- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا عيسى بن فرقد، قال: حدثنا جابر
الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عن الرجعة، فقرأ هذه الآية: {وَحَرَامٌ عَلَى
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}.

فكان أبا جعفر وجه تأويل ذلك إلى أنه: وحرام على أهل قرية أمتناهم
أن يرجعوا إلى الدنيا. والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي
بالصواب وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بُعث
به إليه الرسل، ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعت إليه رسله من
الإيمان به والعمل بطاعته، ثم أتبع ذلك قوله: {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} فلأن يكون ذلك خبراً عن صنيعه بمن أبى أجابة رسله
وعمل بمعصيته وكفر به، أخرى، ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي
لم تعمل الصالحات وكفرت به.

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: حرام على أهل قرية أهلكتناهم بطبعنا
على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم، إذ صدّوا عن سبيلنا
وكفروا بآياتنا، أن يتوبوا ويراجعوا الإيمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا.
وإذ كان ذلك تأويل قوله الله: «وَجِزْمٌ» وعزم، على ما قال سعيد، لم تكن
«لا» في قوله: أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ صلة، بل تكون بمعنى النفي، ويكن معنى

الكلام: وعزم منا على قرية أهلكتها أن لا يرجعوا عن كفرهم. وكذلك إذا كان معنى قوله: «وَحَرَّمُ» نوجبه. وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكتها أن يرجعوا، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كان أعلم بمعنى ذلك منه

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتح عن يأجوج ومأجوج، وهما أمتان من الأمم ردمهما كما:

18742- حدثني عصام بن داود بن الجراح، قال: ثني أبي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربيعة بن جراح، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوَّلُ الْآيَاتِ: الدَّجَالُ، وَنَزْلُ عِيسَى، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ أَبِينَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا. وَالِدَّخَانُ، وَالِدَابَّةُ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ» قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، وما يأجوج ومأجوج؟ قال: «يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أُمَّمٌ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُ مِائَةٍ أَلْفٍ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَى أَلْفَ عَيْنٍ تَطْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ، وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ، فَيَسِيرُونَ إِلَى حَرَابِ الدُّنْيَا، يَكُونُ مَقَدِّمَتُهُمْ بِالسَّامِ وَسَاقَتُهُمْ بِالْعِرَاقِ، فَيَمُوتُونَ بِأَنْهَارِ الدُّنْيَا، فَيَبْشُرُونَ الْفِرَاتَ وَالِدَّجْلَةَ وَبَحِيرَةَ الطَّبْرِيةِ حَتَّى يَأْتُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا فَقَاتِلُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِالنَّسَابِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ نُشَابُهُمْ مُخَصَّبَةً بِالْدَمِ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَعِيسَى وَالْمُسْلِمُونَ بِجَيْلِ طُورِ سَيْنِينَ، فَيُوجِي اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى عِيسَى: أَنْ أْخِرْ عِبَادِي بِالطُّورِ وَمَا يَلِي أَيْلَةَ ثُمَّ إِنَّ عِيسَى يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَوْمُ الْمُسْلِمُونَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا النَّعْفُ، تَدْخُلُ مِنْ مَنَاخِرِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى مِنْ حَاقِ السَّامِ إِلَى حَاقِ الْعِرَاقِ، حَتَّى تَتَنَّى الْأَرْضَ مِنْ جِيْفِهِمْ وَيَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ، فَتَغْسِلُ الْأَرْضَ مِنْ جِيْفِهِمْ وَتَنْبِهُمُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا».

18743- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جكام، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالفة، قال: إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف، وإن الجن يزيدون على الإنس الضعف، وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج.

18744- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت وهب بن جابر يحدث، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن يأجوج ومأجوج يمرُّ أولهم بنهر مثل دجلة، ويمرُّ آخرهم فيقول: قد كان في هذا مرّة ماء. لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً. وقال: من بعدهم ثلاثُ أُمم لا يعلم عددهم إلا الله: تاويل، وتاريس، وناسك أو منسك شك شعبة.

18745- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر الخيواني، قال: سألت عبد الله بن عمرو، عن

يأجوج ومأجوج، أمن بني آدم هم؟ قال: نعم، ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله: تاريس، وتاويل، ومنسك.

18746- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب، قال: حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم، قال: سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول: قال عبد الله بن عمرو: يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمون ما شاءوا، ونساء يجامعون ما شاءوا، وشجر يلقمون ما شاءوا، ولا يموت رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا.

18747- حدثنا محمد بن عمارة، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا زكريا، عن عامر، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن سلام، قال: ما مات أحد من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذرء فصاعدا.

18748- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن عطية، قال: قال أبو سعيد: يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحد إلا قتلوه، إلا أهل الحصون، فيمرون على البحيرة فيشربونها، فيمّر الماء فيقول: كأنه كان ههنا ماء، قال: فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصيروا خبالاً، فتقول أهل الحصون: لقد هلك أعداء الله، فيدلون رجلاً لينظر، ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعوه، فيجدهم قد هلكوا، قال: فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر، فتطهر الأرض منهم، ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل، وتخرج الأرض ثمرتها كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج.

18749- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج. 18750- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم، قال: حدثنا عمرو بن قيس، قال: بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلاً كل يوم يحرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم، قال: فيسمعون جلبة وأمرًا شديداً. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، أن عبد الله بن عمرو، قال: ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف، وإن من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم إلا الله: منسك، وتاويل، وتاريس.

18751- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن عمرو البكال، قال: إن الله جزأ الملائكة والإنس والجنّ عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذي يحملون العرش، ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون. قال: ومن بقي من الملائكة لأمر الله ووجه ورسالته. ثم جزأ الإنس والجنّ عشرة أجزاء، فتسعة منهم الجن، لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة. ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج، وسائر الإنس جزء.

18752- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج قال: أمّتان من وراء ردم ذي القرنين.

18753- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن غير واحد، عن حميد بن هلال، عن أبي الصيف، قال: كعب: إذا كان عند خروج

يأجوج وماجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل قالوا: نجىء غدا فنخرج، فيعيدها الله كما كانت، فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فئوسهم، فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول: نجىء غدا فنخرج إن شاء الله. فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه، فيحفرون ثم يخرجون. فتمرّ الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها، ثم تمرّ الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثم تمرّ الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان ههنا مرّة ماء. وتفرّ الناس منهم، فلا يقوم لهم شيء، يرمون بسهامهم إلى السماء، وترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: غلبنا أهل الأرض وأهل السماء. فيدعو عليهم عيسى ابن مريم، فيقول: اللهم لا طاقة ولا يد لنا بهم، فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فتفرس رقابهم، ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الأرض منهم وتنبتها، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن. قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت. قال: فبينا الناس كذلك، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريد، فيبعث عيسى طليعة سبع مئة، أو بين السبع مئة والثمان مئة، حتى إذا كانوا بعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع. فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا أو على هذا شيئا فهو المتكلف.

18754- حدثنا العباس بن الوليد البيروتي، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت ابن جابر، قال: ثني محمد بن جابر الطائي ثم الحمصي، ثني عبد الرحمن بن جبير بن نغير الحضرمي، قال: ثني أبي أنه سمع النّوّاس بن سمعان الكلابي يقول: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال، وذكر أمره، وأن عيسى ابن مريم يقتله، ثم قال: «قَبِيْنَا هُوَ كَذَلِكِ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا عِيسَى، إِنْ قَدْ أَخْرَجْتُ بَعَادَا لِي لَا يَدٍ لِأَخِي يَقْتَالِيهِمْ، فَحَرَّرْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ فَيَبْعَثَ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذْبٍ يَنْسِلُونَ، قَيِّمُ أَعْدَهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَنْزِلُ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ مَرَّةً. فَيَحْصِرُ بَنِيَّ اللَّهَ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمئِذٍ حَبِيرًا لِأَحَدِهِمْ مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضِيحُونَ قَرْسَى مَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَهِيطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعًا إِلَّا قَدْ مَلَأَهُ رُحْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْتَاقِ الْبُحْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرُقُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطْرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ.

وأما قوله: وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذْبٍ يَنْسِلُونَ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ بَنُو آدَمَ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ كَانُوا دَفِنُوا فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ الْحَشْرُ إِلَى مَوْضِعِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

18755- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، عن ابن أبي نجیح، عن

مجاهد، في قوله: مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: جمع الناس من كلِّ مكان جاءوا منه يوم القيامة، فهو حَدَبٌ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج: وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، قال ابن جُرَيْج: قال مجاهد: جمع الناس من كلِّ حدب من مكان جاءوا منه يوم القيامة فهو حدب.

وقال آخرون: بل عني بذلك ياجوج، وماجوج وقوله: «وهم» وكناية أسمائهم ذكر من قال ذلك:

18756- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: حدثنا أبو الزعراء، عن عبد الله أنه قال: يخرج ياجوج وماجوج فيمرحون في الأرض، فيفسدون فيها. ثم قرأ عبد الله: وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: ثم بيعت الله عليهم دابة مثل النغف، فتليج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتنن الأرض منهم، فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الأرض منهم.

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: عني بذلك ياجوج وماجوج، وأن قوله: وَهُمْ كناية عن أسمائهم، للخبر الذي:

18757- حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن قتادة الأنصاري، ثم الطفري، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيُعَشِّوْنَ الْأَرْضَ».

18758- حدثني أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم بن بشير، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر، وهو ابن عفازة العبدي، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يُذكر عن عيسى ابن مريم، قال: «عيسى: عَهَدَ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ الدِّجَالَ خَارِجٌ، وَأَنَّهُ مُهَيِّطِي إِلَيْهِ، فَذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ قَضِيبَيْنِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَكَهُ اللَّهُ. قَالَ: فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ. فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ».

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا المحاربي، عن أصبغ بن زيد، عن العوام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر بن عفازة، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

وأما قوله: مِنْ كُلِّ حَدَبٍ فإنه يعني من كل شرف ونشز وأكمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18759- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ يقول: من كلِّ شرف يُقْبِلُونَ.

18760- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر عن قتادة: مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: من كلِّ أكمة.

18761- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: الحَدَبُ: الشيء المشرف. وقال الشاعر:

..... عَلَى الحَدَابِ تَمُورُ

1 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: حتى إذا فُتحتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال: هذا مبتدأ يوم القيامة.

وأما قوله: يَنْسِلُونَ فإنه يعني: أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب، كما قال الشاعر:
عَسَلَانَ الذُّبِّ أَمْسَى قَارِبَ اِبْرَدِ اللَّيْلِ عَلَيْهِ فَتَسَلُّ

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} . يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتحتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18762- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، يعني ابن قيس، قال: حدثنا حذيفة: لو أن رجلاً اقتلى قُلُوبًا بعد خروج يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ لم يركبه حتى تقوم القيامة.

18763- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ قال: اقترب يوم القيامة منهم. والواو في قوله: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ مقحمة، ومعنى الكلام: حتى إذا فُتحتْ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ اقترب الوعد الحق، وذلك نظير قوله: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ مَعْنَاهُ: نادينا، بغير واو، كما قال امرؤ القيس:
فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَيْنَا بَطْنُ حَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَقَلِ
يريد: فلما أجزنا ساحة الحي أنتحي بنا.

وقوله: فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان: أحدهما أن تكون كناية عن الأبصار وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها، كما قال الشاعر:

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ طَعِينَتِيَا لَا قَرَّ عَنِّي مَالِكُ بِنِ أَبِي كَعْبٍ
فكنى عن الطعينة في: «لعمرو أبيها»، ثم أظهرها، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا.

والثاني: أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَهُنَا رَأْسُ
وقوله: يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله وقيام الساعة بحقائقها، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء. وفي الكلام متروك ثرك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وذلك «يقولون» من قوله: فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يقولون: يا ويلنا. وقوله: بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}.

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دون الله من الآلهة. كما:

18764- حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَعْنِي الْآلِهَةَ وَمَنْ يَعْبُدُهَا، حَصَبُ جَهَنَّمَ}.

وأما حصب جهنم، فقال بعضهم: معناه: وقود جهنم وشجرها. ذكر من قال ذلك:

18765- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ قَاسِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: {حَصَبُ جَهَنَّمَ}: شَجَرُ جَهَنَّمَ.

18766- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} يَقُولُ: وَقُودُهَا.

وقال آخرون: بل معناه: حطب جهنم. ذكر من قال ذلك:

18767- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: {حَصَبُ جَهَنَّمَ} قَالَ: حَطْبُهَا.

18768- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حِجَابٍ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، (مِثْلَهُ) وَزَادَ فِيهِ: وَفِي بَعْضِ الْقِرَاءَةِ: «حَطَبُ جَهَنَّمَ» يَعْنِي فِي قِرَاءَةِ عَائِشَةَ.

18769- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: {حَصَبُ جَهَنَّمَ} قَالَ: حَصَبُ جَهَنَّمَ يَقْذِفُونَ فِيهَا.

18770- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ، عَنْ ابْنِ الْحَرِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَوْلَهُ: {حَصَبُ جَهَنَّمَ} قَالَ: حَطَبُ جَهَنَّمَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يُرْمَى بهم في جهنم. ذكر من قال ذلك:

18771- حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {حَصَبُ جَهَنَّمَ} يَقُولُ: إِنْ جَهَنَّمَ إِنَّمَا تَحْصَبُ بِهِمْ، وَهُوَ الرَّمِي يَقُولُ: يَرْمَى بِهِمْ فِيهَا.

واختلف في قراءة ذلك، فقرأته قرأه الأمصار: {حَصَبُ جَهَنَّمَ} بالصاد، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه.

وروي عن عليٍّ وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك: «حَطَبُ جَهَنَّمَ» بالطاء. وروي عن ابن عباس أنه قرأه: «حَصَبُ» بالصاد.

18772- حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَرَأَهَا كَذَلِكَ.

وكان ابن عباس إن كان قرأ ذلك كذلك، أراد أنهم الذين تُسَجَّرُ بهم جهنم ويوقد بهم فيها النار وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به، فهو عند العرب حصب لها. فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب: الرمي، من قولهم: حصبت الرجل: إذا رميته، كما قال جل ثناؤه: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا كَانَ الْأُولَى

بتأويل ذلك قول من قال: معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها. وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمين: الحطب, فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح. وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد. وأما قوله: أَنْتُمْ لَهَا وَرْدُونَ فَإِنْ مَعْنَاهُ: أَنْتُمْ عَلَيْهَا أَيُّهَا النَّاسُ أَوْ إِلَيْهَا وَارِدُونَ, يقول: داخلون. وقد بيّنت معنى الورد فيما مضى قبل بما أغني عن إعادته في هذا الموضوع.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُّوهَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ}.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون, وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون, وما تعبدون من دون الله ووردو جهنم, ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها, بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين, ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضرر عنها, فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد, ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة, وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء, فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلها. وقوله: وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ما كثون في النار أبدا بغير نهاية وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18773- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُّوهَا وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ قال: الآلهة التي عبد القوم, قال: العابد والمعبود.

الآية : 100 - 101

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}.

يعني تعالى ذكره بقولهم: لَهُمُ الْمُشْرِكِينَ وَالْهَتَمِ, وَالْهَاءُ, وَالْمِيمُ فِي قَوْلِهِ: لَهُمْ مِنْ ذِكْرِ «كُلَّ» الَّتِي فِي قَوْلِهِ: وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ. يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير, وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ يقول: وهم في النار لا يسمعون.

وكان ابن مسعود يتأول في قوله: وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ما:

18774- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن المسعودي, عن يونس بن خباب, قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ قال: إذا ألقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توابع من نار, ثم جعلت تلك التوابع في توابع أخرى, ثم جعلت التوابع أخرى فيها مسامير من نار, فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره. ثم قرأ: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ. وأما قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ فَإِنَّ أَهْلَ التَّوَابِلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِهِ, فقال بعضهم: عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبْعَد. ذكر من قال ذلك:

18775_ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن يوسف بن سعد وليس بابن مَاهِك عن محمد بن حاطب, قال: سمعت عليًا يخطب فقرأ هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. قال: عثمان رضي الله عنه منهم. وقال آخرون: بل عُنِي: من عُبد مِن دون الله, وهو لله طائع ولعبادة من يعبد كاره. ذكر من قال ذلك:

18776_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ قال: عيسى, وعُزَيْر, والملائكة. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

قال ابن جُرَيْج: قوله: إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثُمَّ اسْتَنْتَى فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ.

18777_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة, والحسن البصري قالا: قال في سورة الأنبياء: إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زُرِّيٌّ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ثُمَّ اسْتَنْتَى فَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ فَقَدْ عُبدت الملائكة من دون الله, وعُزَيْرٌ وعيسى من دون الله.

18778_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد: أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ قال: عيسى.

18779_ حدثني إسماعيل بن سيف, قال: حدثنا علي بن مسهر, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح في قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ قال: عيسى, وأمه, وعُزَيْر, والملائكة.

18780_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة, فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش, فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فعرض له النضر بن الحارث, وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه, ثم تلا عليه وعليهم: إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ.... إلى قوله: وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأقبل عبد الله بن الزُّبَيْرِ بن قيس بن عدي السهمي حتى جلس, فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزُّبَيْرِ: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً وما قعد, وقد زعم أبا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جَهَنَّمَ فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ: أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمداً: أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة, واليهود نعبد عُزَيْراً, والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم. فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزُّبَيْرِ, (ورأوا الله قد احتج وخاصم. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبير, فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَعَمَّ كُلٌّ مَن أَحَبَّ أَنْ

يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ
بِعِبَادَتِهِ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ... إِلَى: خَالِدُونَ أَي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرٍ، وَمَنْ عَبَدُوا مِنْ
الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ الَّذِي مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ
أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا ذِكْرًا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ
الْمَلَائِكَةَ وَأَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ
مُكْرَمُونَ... إِلَى قَوْلِهِ: تَجْرِي الظَّالِمِينَ.

18781- حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ،
قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ، قَالَ: يَقُولُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا
الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ يَعْنِي مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ. فَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا
يَعْنِي مَنْ يَعْبُدُ الْآلِهَةَ وَهُوَ لِلَّهِ مَطِيعٌ مِثْلَ عَيْسَى وَآمِهِ وَعُزَيْرٍ وَالْمَلَائِكَةَ،
وَاسْتَشْنَى اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةَ الْمَعْبُودَةَ الَّتِي هِيَ وَمَنْ يَعْبُدُهَا فِي النَّارِ.

18782- حَدَّثَنَا ابْنُ سِينَانَ الْقَزَّازِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَشْقَرِ،
قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كَدَيْبَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ
لَهَا وَارِدُونَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: فَإِنَّ عَيْسَى يُعْبَدُ وَعُزَيْرٌ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
يُعْبَدُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ
لِعَيْسَى وَغَيْرِهِ.

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنِي بِقَوْلِهِ: إِنَّ
الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ مَا كَانَ مِنْ مَعْبُودٍ كَانَ
الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُ وَالْمَعْبُودَ لِلَّهِ مَطِيعٌ وَعَابِدُوهُ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ بِاللَّهِ كَقَارِ
لأن قوله تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ابتداءً كلامٍ محققٍ
لأمرٍ كان ينكره قوم، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس،
فكان المشركين قالوا لِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ
وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ: مَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ، لَأَنَا نَعْبُدُ
الْمَلَائِكَةَ، وَيَعْبُدُ آخَرُونَ الْمَسِيحَ وَعُزَيْرًا. فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ رَدًّا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ:
بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَيْسَ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ هُمْ عَنْهَا مَبْعَدُونَ،
لأنهم غير معنيين بقولنا: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ. فَأَمَّا
قَوْلُ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ اسْتِثْنَاءً مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ فَقَوْلٌ لَا مَعْنَى لَهُ لِأَنَّ اسْتِثْنَاءَ إِنَّمَا هُوَ إِخْرَاجُ الْمُسْتَشْنَى مِنْ
الْمُسْتَشْنَى مِنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ إِنَّمَا هُمْ إِمَّا
مَلَائِكَةً وَإِمَّا إِنْسًا أَوْ جَانًّا، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِذَا ذَكَرْتَهَا الْعَرَبُ فَإِنْ أَكْثَرَ مَا تَذَكَّرَهَا
بِ «مِنْ» لِأَنَّ «مَا» وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِنَّمَا ذَكَرَ الْمَعْبُودِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ
أَنَّهُمْ حَصَبُ جَهَنَّمَ بِ «مَا»، قَالَ: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ
جَهَنَّمَ إِنَّمَا أُرِيدُ بِهِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ مِنَ الْحِجَارَةِ
وَالْخَشَبِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لِمَا وَصَفْنَا،
فَقَوْلُهُ: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ جَوَابٌ مِنَ اللَّهِ لِلْقَائِلِينَ مَا ذَكَرْنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَبْتَدَأً. وَأَمَّا الْحُسْنَىٰ فَإِنَّهَا الْفَعْلَى مِنَ الْحُسْنِ، وَإِنَّمَا عَنِي
بِهَا السَّعَادَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ. كَمَا:

18783- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي
قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ قَالَ: الْحُسْنَىٰ: السَّعَادَةُ. وَقَالَ:
سَبَقَتْ السَّعَادَةُ لِأَهْلِهَا مِنَ اللَّهِ، وَسَبَقَ الشَّقَاءُ لِأَهْلِهِ مِنَ اللَّهِ.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسييس النار، ويعني بالحسييس: الصوت والحسن.

فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسييسها، وقد علمت ما روي من أن جهنم يؤتي بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟ قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسييسها هي غير تلك الحال، بل هي الحال التي:

18784- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: { لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ } يقول: لا يسمع أهل الجنة حسييس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

وقوله: { وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ } يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولداتها ما كثون فيها، لا يخافون زوالاً عنها ولا انتقالاً عنها.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: { لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ }.

اختلف أهل التأويل في الفرع الأكبر أي الفرع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها. ذكر من قال ذلك:

18785- حدثنا أبو هشام، قال: حدثنا يحيى بن يمان، قال: حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: لا يحزنهم القرع الأكبر قال: النار إذا أطبقت على أهلها.

18786- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: { لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ } قال: حين يطبق جهنم، وقال: حين دُبح الموت.

وقال آخرون: بل ذلك النفخة الآخرة. ذكر من قال ذلك:

18787- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: { لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ } يعني النفخة الآخرة.

وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار. ذكر من قال ذلك:

18788- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن رجل، عن الحسن: لا يحزنهم القرع الأكبر قال: انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وأمن منه، فهو مما بعده أخرى أن لا يفرع، وأن من أفرعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع مما بعده.

وقوله: { وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ } يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فيه الكرامة من الله والجباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون في الدنيا لله في طاعته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد.

18789- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنة.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا قَاعِلِينَ}. يقول تعالى ذكره: لا يحزنهم الفزع الأكبر, يوم تطوي السماء. ف «يوم» صلة من «يحزنهم».

واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: هو اسم ملك من الملائكة. ذكر من قال ذلك:

18790- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا أبو الوفاء الأشجعي, عن أبيه, عن ابن عمر, في قوله: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتَابِ قال: السجل: ملك, فإذا سعد بالاستغفار قال: اكتبها نورا. 18791- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, قال: سمع السدي يقول, في قوله: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ قال: السجل: ملك.

وقال آخرون: السجل: رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

18792- حدثنا نصر بن علي, قال: حدثنا نوح بن قيس, قال: حدثنا عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس في هذه الآية: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتَابِ قال: كان ابن عباس يقول: هو الرجل, قال: حدثنا نوح بن قيس, قال: حدثنا يزيد بن كعب, عن عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس, قال: السجل: كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل هو الصحيفة التي يكتب فيها. ذكر من قال ذلك:

18793- حدثني علي, قال: حدثنا عيد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتَابِ يقول: كطي الصحيفة على الكتاب.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتَابِ يقول: كطي الصحف.

18794- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: السجل: الصحيفة. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتَابِ قال: السجل: الصحيفة.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب, ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل, ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف تطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى كذلك، وإنما معناه: يوم تطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ثم جعل «نطوي» مصدرًا، فقيل: كطي السجل للكتاب واللام في قوله «للكتاب» بمعنى «على».

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار، سوى أبي جعفر القاري: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ بالنون. وقرأ ذلك أبو جعفر: «يَوْمَ تُطْوِي السَّمَاءَ» بالتاء وضمها، على وجه ما لم يُسمِّ فاعله.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار، بالنون، لإجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه. وأما السجل فإنه في قراءة جميعهم بتشديد اللام. وأما الكتاب، فإن قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة قرءوه بالتوحيد: «كطي السجل للكتاب»، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: للكتب على الجماع.

وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب لما ذكرنا من معناه، فإن المراد منه: كطي السجل على ما فيه مكتوب. فلا وجه إذ كان ذلك معناه لجميع الكتب إلا وجه تتبعه من معروف كلام العرب، وعهد قوله: كطي السجل انقضاء الخبر عن صلة قوله: لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ ثم ابتداء الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ فَالْكَافِ التِّي فِي قَوْلِهِ: «كَمَا» من صلة «نعيد»، تقدمت قبلها ومعنى الكلام: نعيد الخلق عرارة حفاة عزلاً يوم القيامة، كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك.

وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل، وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك اخترت القول به على غيره. ذكر من قال ذلك والأثر الذي جاء فيه:

18795- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ قال: حُفَاةٌ عُرَاةٌ عَزْلًا.

18796- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ قال: حُفَاةٌ عُلْفَا. قال ابن جريج أخبرني إبراهيم بن ميسرة، أنه يسمع مجاهدا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه: «بِأَثْوَتَهُ حُفَاةٌ عُرَاةٌ عُلْفَا» فَاسْتَتَرَتْ بِكُمْ دِرْعَهَا، وَقَالَتْ وَاسْوَأَتَاهُ قال ابن جريج: أخبرت أنها عائشة قالت: يا نبي الله، لا يحتشم الناس بعضهم بعضاً؟ قال: «لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ».

18797- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا سفيان، قال: ثني المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحَسِّرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً عَزْلًا، فَأَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ» ثم قرأ: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف، قال: حدثنا سفيان، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة» فذكره نحوه.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن المغيرة بن النعمان التَّخَعِيّ, عن سعيد بن جُبَيْر, عن ابن عباس, قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم» فذكره نحوه.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن شعبة, قال: حدثنا المغيرة بن النعمان التَّخَعِيّ, عن سعيد بن جُبَيْر, عن ابن عباس, نحوه.
18798- حدثنا عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن دينار, عن سعيد بن جُبَيْر, عن ابن عباس, قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: «إِنَّكُمْ مُلَأُوا اللَّهَ مُشَاءً غُرْلًا».

18799- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد, عن عائشة, قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي عجوز من بني عامر, فقال: «مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ يَا عَائِشَةُ؟» فقلت: إحدى خالاتي. فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجْزَةُ». قالت: فأخذ العجوز ما أخذها, فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ», ثم قال: «يُحْشِرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ عَلَقَا». فقالت: حاش لله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلَى إِنَّ اللَّهَ قَالَ: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا... إلى آخر الآية, فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ».

18800- حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عطاء, عن عتبة بن عامر الجهني, قال: يجمع الناس في سعيد واحد ينفذهم البصر, ويسمعهم الداعي, حفاة عراة, كما خُلِقُوا أَوَّلَ يَوْمٍ.

18801- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني عباد بن العوام, عن هلال بن حبان, عن سعيد بن جُبَيْر, عن ابن عباس, (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلاً». قلت: يا أبا عبد الله ما الغرل؟ قال: العلف. فقال بعض أزواجه: يا رسول الله, أينظر بعضنا إلى بعض إلى عورته؟ فقال «لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ مَا يَشْعَلُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى عَوْرَةِ أَخِيهِ». قال هلال: قال سعيد بن جُبَيْر: وَلَقَدْ جِئْنَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَالَ: كيوم ولدته أمه, يرِدُّ عليه كل شيءٍ انتقص منه مثل يوم وُلِدَ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئاً, كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية, حتى لا يكون شيء سوانا. ذكر من قال ذلك:

18802- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ... الآية, قال: نهلك كل شيء كما كان أول مرة.

وقوله: وَعَدَا عَلَيْنَا يقول: وعدناكم ذلك وعدا حقاً علينا أن نوفي بما وعدنا, إنا كنا فاعلي ما وعدناكم من ذلك أيها الناس, لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله, على يقين بأن ذلك كائن, واستعدوا وتأهبوا.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} .

اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بالزبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم، وعُني بالذكر: أم الكتاب التي عنده في السماء. ذكر من قال ذلك:

18803- حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، قال: سألت سعيداً، عن قول الله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ قال: الذكر: الذي في السماء.

18804- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ قال: قرأها الأعمش: «الزُّبُر» قال: الزبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ قال: الذكر الذي في السماء.

18805- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الزُّبُورُ قال: الكتاب. مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ قال: أم الكتاب عند الله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: الزُّبُورُ قال: الكتاب. بَعْدِ الذِّكْرِ قال: أم الكتاب عند الله. 18806- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ قال: الزبور: الكتب التي أنزلت على الأنبياء. والذكر: أم الكتاب الذي تُكتب فيه الأشياء قبل ذلك.

18807- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن سعيد، في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ قال: كتبنا في القرآن من بعد التوراة.

وقال آخرون: بل عُني بالزبور: الكتب التي أنزلها الله على مَنْ بعد موسى من الأنبياء، وبالذكر: التوراة. ذكر من قال ذلك:

18808- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ... الآية، قال: الذكر: التوراة، والزبور: الكتب.

18809- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ... الآية، قال: الذكر: التوراة، ويعني بالزبور من بعد التوراة: الكتب. وقال آخرون: بل عُني بالزبور زبور داود، وبالذكر تورا موسى صلى الله عليهما. ذكر من قال ذلك:

18810- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا داود، عن عامر أنه قال في هذه الآية: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ قال: زبور داود. من بعد الذكر: ذكر موسى التوراة.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، أنه قال في هذه الآية: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ قال: في زبور داود، من بعد ذكر موسى.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والأرض. وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب ودبرته: إذا

كتبته, وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبيٍّ من أنبيائه, فهو ذِكرٌ. فإذا كان ذلك كذلك, فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر, الدلالة البينة أنه معنيٌّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية, ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم, فقد كان قبل زبور داود.

فتأويل الكلام إذن, إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا, فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب, أن الأرض يرثها عبادي الصالحون يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته المنتهون إلى أمره ونهيه من عبادته, دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته. ذكر من قال ذلك:

18811- حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي يحيى القنّات, عن مجاهد, عن ابن عباس, قوله: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: أرض الجنة.

18812- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض, أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ويُدخلهم الجنة, وهم الصالحون.

18813- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جبير في قوله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: كتبنا في القرآن بعد التوراة, والأرض أرض الجنة.

18814- حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: الأرض: الجنة.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, قال: سألت سعيداً عن قول الله: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: أرض الجنة.

18815- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18816- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: الجنة. وقرأ قول الله جل ثناؤه: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قال: فالجنة مبتدؤها في الأرض ثم تذهب درجات علواً, والنار مبتدؤها في الأرض وبينهما حجاب شور ما يدري أحد ما ذاك السور, وقرأ: بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ قال: ودرجها تذهب سفالاً في الأرض, ودرج الجنة تذهب علواً في السموات.

18817_ حدثنا محمد بن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان, سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث.
وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا.
وقال آخرون: عُنِيَ بِذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُمْ ذَلِكَ فَوْفِيَّ لَهُمْ بِهِ. واستشهد لقوله ذلك بقول الله: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا. وقد ذكرنا قول من قال: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ أَنَّهَا أَرْضُ الْأُمَّمِ الْكَافِرَةِ, تَرِثُهَا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو قول ابن عباس الذي رَوَى عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ.

الآية : 106 و 107

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ {

يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, لبلاغا لمن عيّد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله, إلى رضوانه وإدراك الطلبة عنده.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18818_ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَيَّة, عن الجريري, عن أبي الوُرْد بن ثمامة, عن أبي محمد الحضرمي, قال: حدثنا كعب في هذا المسجد, قال: والذي نفس كعب بيده إن في هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ إنهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس, سماهم الله عابدين.

18819_ حدثنا الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا ابن عُلَيَّة, عن سعيد بن إياس الجريري, عن أبي الوُرْد عن كعب, في قوله: إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ قال: صوم شهر رمضان, وصلاة الخمس, قال: هي ملء اليبدين والبحر عبادة.

18820_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن الحسين, عن الجريري, قال: قال كعب الأحبار: إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ لأمّة محمد.

18821_ حدثني علي, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ يقول: عاملين.

18822_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قوله: إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ قال: يقولون في هذه السورة لبلاغا.

ويقول آخرون: في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس, من أداها كان بلاغا لقوم عابدين, قال: عاملين.

18823_ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ قال: إن في هذا لمنفعة وعلمًا لقوم عابدين ذاك البلاغ.

وقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية، أجمع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال بعضهم: غني بها جميع العالم المؤمن والكافر. ذكر من قال ذلك:

18824- حدثني إسحاق بن شاهين، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن المسعودي، عن رجل يقال له سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قول الله في كتابه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ قال: من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفي مما أصاب الأمم من الحسف والقذف.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن المسعودي، عن أبي سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ قال: تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عُوفي مما أصاب الأمم قبل.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر. ذكر من قال ذلك: 18825- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ قال: العالمون: من آمن به وصدقته. قال: وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة، وقد جاء الأمر مجملاً رحمة للعالمين. والعالمون ههنا: من آمن به وصدقته وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَهْلَ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: ما يوحى إلي ربي إلا أنه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد لا تصلح العبادة إلا له ولا ينبغي ذلك لغيره. قَهْلَ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ يقول: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرّثون من عبادة ما دونه من ألهتكم؟

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ أَدْنٰكُمْ عَلٰى سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيْٓ أَقْرَبُٓ أَمْ بَعِيْدُٓ مَا تُوعَدُوْنَ }.

يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان، بأن لا إله لهم إلا إله واحد، فأعرضوا عنه وأبوا الإجابة إليه، فقل

لهم: قَدْ آدَّتْكُمْ عَلَى سَوَاءٍ يَقُول: أَعْلَمُهُمْ أَنْكَ وَهَمَّ عَلَى عِلْمٍ مِنْ أَنْ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ حَرْبٍ، لِاصْلَحَ بَيْنَكُمْ وَلَا سَلَمَ.

وَإِنَّمَا غَنِي بِذَلِكَ قَوْمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ، كَمَا: 18826- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَوْلُهُ: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آدَّتْكُمْ عَلَى سَوَاءٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا، يَعْنِي قُرَيْشًا. وَقَوْلُهُ: وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ: قُلْ وَمَا أَدْرِي مَتَى الْوَقْتُ الَّذِي يَحِلُّ بِكُمْ عِقَابَ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ، فَيَنْتَقِمَ بِهِ مِنْكُمْ، أَقْرَبُ نَزُولَهُ بِكُمْ أَمْ بَعِيدُ؟

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ: 18827- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ: وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ قَالَ: الْأَجَلُ.

الآية: 110 و 111

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}.

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ، إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ الَّذِي يَجْهَرُونَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَعْلَمُ مَا تَخْفَوْنَهُ فَلَا تَجْهَرُونَ بِهِ، سِوَاءَ عِنْدَهُ خَفِيهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِنْ أُخِّرَ عَنْكُمْ عِقَابَهُ عَلَى مَا تَخْفَوْنَ مِنَ الشَّرْكِ بِهِ أَوْ تَجْهَرُونَ بِهِ، فَمَا أَدْرِي مَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ يُؤَخَّرُ ذَلِكَ عَنْكُمْ؟ لَعَلَّ تَأْخِيرَهُ ذَلِكَ عَنْكُمْ مَعَ وَعْدِهِ إِيَّاكُمْ لِفِتْنَةٍ يَرِيدُهَا بِكُمْ، وَلِتَتَمَتَّعُوا بِحَيَاتِكُمْ إِلَى أَجَلٍ قَدْ جَعَلَهُ لَكُمْ تَبْلُغُونَهُ، ثُمَّ يَنْزِلُ بِكُمْ حِينًا نَقَمْتَهُ.

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ: 18828- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءِ الْخِرَاسَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ يَقُولُ: لَعَلَّ مَا أَقْرَبَ لَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالسَّاعَةِ، أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْكُمْ لِمَدَّتْكُمْ، وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَيَصِيرُ قَوْلِي ذَلِكَ لَكُمْ فِتْنَةً.

الآية: 112

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: يَا رَبِّ أَفْصَلُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَدَّبَنِي مِنْ مَشْرُكِي قَوْمِي وَكَفَرْتُ بِكَ وَعَبَدْتُ غَيْرَكَ، بِإِحْلَالِ عَذَابِكَ وَنَقَمْتِكَ بِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ الْحُكْمَ بِهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ.

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ: 18829- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ قَالَ: لَا يَحْكُمُ بِالْحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنْ إِنَّمَا اسْتَعْجَلَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، يَسْأَلُ رَبَّهُ عَلَى قَوْمِهِ.

18830- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا شَهِدَ قِتَالًا قَالَ: «رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ».

وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَةٌ الْقُرَّاءِ الْأَمْصَارِ: قُلْ رَبِّ احْكُم بِكسر الباء، ووصل الألف ألف «احكم»، على وجه الدعاء والمسألة،

سوى أبي جعفر، فإنه ضمّ الباء من «الرَّبِّ»، على وجه نداء المفرد، وغير الضحاك بن مزاحم، فإنه روي عنه أنه كان يقرأ ذلك: «رَبِّي أَحْكَمُ» على وجه الخبر بأن الله أَحْكَمُ بالحقِّ من كلِّ حاكم، فثبت الياء في «الرَّبِّ»، ويهمز الألف من «أَحْكَمُ»، ويرفع «أَحْكَمُ»، على أنه للرَّبِّ تبارك وتعالى.

والصواب من القراءة عندنا في ذلك: وصل الباء من الرَّبِّ وكسرهما ب «أَحْكَمُ»، وترك قطع الألف من «أَحْكَمُ»، على ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه وشذوذ ما خالفه. وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه زيادة عنه زيادة حرف على خطِّ المصاحف، ولا ينبغي أن يزداد ذلك فيها، مع صحة معنى القراءة بترك زيادته. وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: رَبِّ أَحْكَمُ بِالْحَقِّ قل: رَبِّ احكم بحكمك الحقِّ، ثم حذف الحكم الذي الحقُّ نعت له وأقيم الحقُّ مقامه. ولذلك وجه، غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل، فلذلك اخترناه.

وقوله: وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ يقول جلّ ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله إن هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، وقولكم: بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ، وفي كذبكم على الله جلّ ثناؤه وقيلكم: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا فإنه هين عليه تغيير ذلك وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

سورة الحج

سورة الحج مدنية

وآياتها ثمان وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية : 1- 2

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته، فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد. ثم وصف جلّ ثناؤه هول أشراف ذلك اليوم وبدوه، فقال: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جلّ ثناؤه بالشدة، فقال بعضهم: هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

18831- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، في قوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ قال: قبل الساعة.

18832- حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدنية، عن عطاء، عن عامر: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال: هذا في الدنيا قبل يوم القيامة.

18833- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج في قوله: إن زلزلة الساعة فقال: زلزلتها: أشراتها... الآيات يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن عامر: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال: هذا في الدنيا من آيات الساعة.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر، في إسناده نظر وذلك ما:

18834- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما قرع الله من خلق السموات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضع على فيه، شاخص يبصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر.» قال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: «قرن.» قال: وكيف هو؟ قال: «قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفحات، الأولى: نفخة القرع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين. يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة القرع فيقرع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ويأمر الله فيديمها ويطلوها، فلا يعثر، وهي التي يقول الله: ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من قواقيس يسيّر الله الجبال فتكون سرابا، وترج الأرض بأهلها رجًا، وهي التي يقول الله: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فلوب يومئذ واجفة، فتكون الأرض كالسفيهة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفا بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجفه الأرواح فتמיד الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأفطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها، فتزعج ويولي الناس مديرين ينادي بعضهم بعضًا، وهو الذي يقول الله: يوم التناد يوم تولون مديرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ قَبَيْتَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَطَرٍ إِلَى قَطَرٍ، قَرَأُوا أَمْرًا عَظِيمًا، وَأَخَذَهُمْ لِيَذَلَّ مِنَ الْكُرْبِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ تَطَرَّوْا إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُهَا وَخُسِفَ قَمَرُهَا وَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا، ثُمَّ كَشِطَتْ عَنْهُمْ» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك» فقال أبو هريرة: فمن استثنى لله حين يقول: ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله؟ قال: «أولئك الشهداء، وإنما يصل القرع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله قرع ذلك اليوم وأمتهم. وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، وهو الذي يقول: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم... إلى قوله: ولكن عذاب الله شديد.»

وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه قولاً، لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله. والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه. ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا:

18835- حدثني أحمد بن المقدم، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة، عن صاحب له حدثه، عن عمران بن حصين، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه، إذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية: «يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم». قال: فحثوا المصلين، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل تدرون أي يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم ينادى آدم، يناديه ربه: ابعث بعث النار، من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين إلى النار» قال: فأبلس القوم، فما وضع منهم ضاحك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أحملوا وأبشروا، فإن معكم خليقتين ما كاتتا في قوم إلا كثرتا، فمن هلك من بني آدم، ومن هلك من بني إبليس وماجوج وماجوج». قال: «أبشروا، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالزقمة في جناح الدابة».

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا هشام بن أبي عبد الله، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثنا أبي وحدثنا ابن أبي عدي، عن هشام جميعاً، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله. حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن عمران، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

18836- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العُسرة، ومعه أصحابه، بعد ما شارف المدينة، قرأ: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها... الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون أي يوم ذاكم؟» قيل: الله ورسوله أعلم. فذكر نحوه، إلا أنه زاد: «وإنه لم يكن رسولاً إلا كان بينهما فترة من الجاهلية، فهم أهل النار وإتكم بين ظهرائي خليقتين لا يعادها أحد من أهل الأرض إلا كثرهم، وهم ياجوج وماجوج، وهم أهل النار، وتكمل العدة من المنافقين».

18837- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لآدم: أخرج بعث النار، قال: فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين. فعند ذلك يثيب الصغير، وتضع الحمل حملها، وتري الناس سُكاري وما هم بسُكاري، ولكن عذاب الله شديد». قال: قلنا فآين الناجي يا رسول الله؟ قال: «أبشروا فإن واحداً منكم وألفاً من ياجوج وماجوج». ثم قال: «إني لأطمع أن

تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللَّهَ. ثم قال: «إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللَّهَ. ثم قال: «إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثُّورِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي الثُّورِ الْأَبْيَضِ».

حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ لَأَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ثم ذكر نحوه.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحشر، قال: «يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا أَدَمُ قَيِّقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ قَيِّقُولُ: ابْعَثْ بَعَثًا إِلَى النَّارِ». ثم ذكر نحوه.

18838- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أنس قال: نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم... حتى إلى: عَدَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ... الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير، فرجع بها صوته، حتى ثاب إليه أصحابه، فقال: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟ هَذَا يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لَأَدَمَ: يَا أَدَمُ فَمَا ابْعَثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ» فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا قَوْلَ الَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي إِذْرَاعِ الدَّابَّةِ، وَإِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ مَا كَاتَا فِي شَيْءٍ قَطٍ إِلَّا كَثَرَتْهُ: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةٍ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ».

18839- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: دخلت على ابن مسعود بيت المال، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا نَعَمْ، قال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قال: «قَوْلَ الَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُوا أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأَخِيرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا تَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ قِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي الثُّورِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثُّورِ الْأَسْوَدِ».

18840- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ قال: هذا يوم القيامة.

والزَّلْزَلَةُ: مصدر من قوله القائل: زلزلتُ بفلان الأرض أزلزلها زلزلة وزلزلاً، بكسر الزاي من الزلزال، كما قال الله: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَكَذَلِكَ الْمَصْدَرُ مِنْ كُلِّ سَلِيمٍ مِنْ الْأَفْعَالِ إِذَا جَاءَتْ عَلَى فِعْلَالٍ فَبِكْسَرٍ أُولَهُ، مثل وَسُوسٍ وَسُوسَةٍ وَوِسْوَاسٍ، فإذا كان اسماً كان بفتح أوله الزَّلْزَالُ وَالْوِسْوَاسُ، وهو ما وسوس إلى الإنسان، كما قال الشاعر:

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضِلُّ أَنَّ الدَّهْرَ فِيهِ التُّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ

وقوله تعالى: يَوْمَ تَرَوْهَا يَقُولُ جَلُّ ثَنَاؤُهُ: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت. ويعني بقوله: تَذْهَلُ تَنْسَى وتترك من شدة كربها، يقال: دَهَلْتُ عَنْ كَذَا أَدْهَلْتُ عَنْهُ دُهُولًا

وَدَهَلَتْ أَيضاً، وهي قليلة، والفصيح: الفتح في الهاء، فأما في المستقبل فالهاء مَفْتُوحَةٌ في اللغتين، لم يسمع غير ذلك ومنه قول الشاعر:

صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَدْهَلُ

فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاه، قلت: أذهله هذا الأمر عن كذا يُذْهِلُهُ إِذْهَالًا. وفي إثبات الهاء في قوله: كُلُّ مُرْضِعَةٍ اخْتِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ وكان بعض نحوِّي الكوفيين يقول: إذا أثبتت الهاء في المرضعة فإنما يراد أم الصبيِّ المرضع، وإذا أسقطت فإنه يراد المرأة التي معها صبيٌّ ترضعه لأنه أريد الفعل بها. قالوا: ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مُرْضِعٌ. قال: وكذلك كلُّ مُفْعَلٍ أو فاعلٍ يكون للأشئ ولا يكون للذكر، فهو بغير هاء، نحو: تُقْرَبُ، ومُؤَوِّقِرٌ، ومُشْشِدِنٌ، وحاملٌ، وحائضٌ.

قال أبو جعفر: وهذا القول عندي أولى بالصواب في ذلك لأن العرب من شأنها إسقاط هاء التانيث من كل فاعل ومفعول إذا وصفوا المؤنث به ولو لم يكن للمذكر فيه حظ، فإذا أرادوا الخبر عنها أنها ستفعله ولم تفعله، أثبتوا هاء التانيث ليفرقوا بين الصفة والفعل. منه قول الأعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل:

فَمَثَلِكُ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعِفَالْهَيْئُهَا عَن ذِي تَمَائِمَ مُحُولٍ

وربما أثبتوا الهاء في الحالتين وربما أسقطوهما فيهما غير أن الفصيح من كلامهم ما وصفت.

فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة، تنسى وتترك كلَّ والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت. كما:

18841- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَوْمَ تَرَوْهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ قال: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها.

18842- حدثنا القسام، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن الحسن: تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ قال: ذهلت عن أولادها بغير فطام. وَتَصَعُّ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمَلُهَا قال: ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام. وَتَصَعُّ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمَلُهَا: يقول: وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها.

وقوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى قرأت قرءاء الأمصار وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى على وجه الخطاب للواحد، كأنه قال: وتري يا محمد الناس سُكَارَى وما هم بسُكَارَى. وقد روي عن أبي رُزَعة بن عمرو بن جرير: «وَتَرَى النَّاسَ» بضم التاء ونصب «الناس»، من قول القائل: أَرَبْتَ تُرَى، التي تطلب الاسم والفعل، كظنٍّ وأخواتها.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرءاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرءاء عليه.

واختلف القرءاء في قراءة قوله: سُكَارَى فقراً ذلك عامة قرءاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى. وقرأته عامة قرءاء أهل الكوفة: «وَتَرَى النَّاسَ سَكَرَى وَمَا هُمْ بِسَكَرَى».

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قرءاتان مستفيضتان في قرءاءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. ومعنى الكلام: وتري الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سُكَارَى من الفزع وما هم بسُكَارَى من شرب الخمر.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18843- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي
بكر, عن الحسن: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ مِنْ الْخَوْفِ, وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ مِنْ
الشراب.

18844- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَمَا
هُم بِسُكَارَىٰ قَالَ: مَا هُمْ بِسُكَارَىٰ مِنَ الشَّرَابِ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ.

18845- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في
قوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ قَالَ: مَا شَرَبُوا خَمْرًا وَلَكِنَّ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ: وَلَكِنَّهُمْ صَارُوا سُكَارَىٰ مِنْ خَوْفِ عَذَابِ
اللَّهِ عِنْدَ مَعَابِدَتِهِمْ مَا عَيْنُوا مِنْ كَرْبِ ذَلِكَ وَعَظِيمِ هَوْلِهِ, مَعَ عِلْمِهِمْ بِشِدَّةِ
عَذَابِ اللَّهِ.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ }.

ذكر أن هذه الآية: نزلت في النضر بن الحارث.

18846- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن
جريج: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَالَ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ.
وبعني بقوله: مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مَنْ يَخَاصِمُ فِي اللَّهِ, فَيَزَعُمُ
أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ إِحْيَاءِ مَنْ قَدْ بَلَىٰ وَصَارَ تَرَابًا, بِغَيْرِ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ, يَلُجُّ
بِجَهْلِ مَنْهُ بِمَا يَقُولُ. وَيَتَّبِعُ فِي قَيْلِهِ ذَلِكَ وَجَدَالَهُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كُلُّ
شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ }.

يقول تعالى ذكره: قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ فَمَعْنَى: «كُتِبَ» هُنَا قُضِيَ,
وَالِهَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ «عَلَيْهِ» مِنْ ذِكْرِ الشَّيْطَانِ. كَمَا:

18847- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن
قتادة: كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ قَالَ: كُتِبَ عَلَى الشَّيْطَانِ, أَنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ
الشَّيْطَانَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.

18848- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا
عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً,
عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ
قَالَ: الشَّيْطَانُ اتَّبَعَهُ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن
مجاهد أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ, قَالَ: اتَّبَعَهُ.

وقوله: فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ يَقُولُ: فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضِلُّهُ, يَعْنِي: يَضِلُّ مَنْ تَوَلَّاهُ.
وَالِهَاءِ الَّتِي فِي «يَضِلُّهُ» عَائِدَةٌ عَلَى «مَنْ» الَّتِي فِي قَوْلِهِ: مَنْ تَوَلَّاهُ
وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ أَنَّهُ يَضِلُّ أَتْبَاعَهُ وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَى
الْحَقِّ. وَقَوْلُهُ: وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ يَقُولُ: وَيَسُوقُ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى

عذاب جهنم الموقدة وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصيته الرحمن, فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مَّخْلُوقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتَّقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرِدُّ إِلَىٰ أَرْدَلٍ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ يَهْبِجُ }.

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم, اتباعا منه للشيطان المرید وتنبیه له على موضع خطأ قيله وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيها الناس إن كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك, فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ثم إنشائناكم من نطفة آدم ثم تصريفناكم أحوالاً حالاً بعد حال, من نطفة إلى علقة, ثم من علقة إلى مضغة, لكم معتبرا ومنتعظا تعتبرون به, فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه إعادتك بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: مخلقة وعجْرٍ مُخَلَّقَةٍ فقال بعضهم: هي من صفة النطفة. قال: ومعنى ذلك: فإننا خلقناكم من تراب, ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة قالوا: فأما المخلقة فما كان خلقا سويا وأما غير مخلقة فما دفعته الأرحام من النطفة وألقته قبل أن يكون خلقا. ذكر من قال ذلك:

18849- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن داود بن أبي هند, عن عامر, عن علقمة, عن عبد الله, قال: إذا وقعت النطفة في الرحم, بعث الله ملكا فقال: يا ربّ مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة, مجّتها الأرحام دما, وإن قال: مخلقة, قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقي أو سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها.

وقال آخرون: معنى قلك: تامة وغير تامة. ذكر من قال ذلك: 18850- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سليمان, قال: حدثنا أبو هلال, عن قتادة في قول الله: مُخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُّخَلَّقَةٍ قال: تامة وغير تامة. حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن قتادة: مُخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُّخَلَّقَةٍ فذكر مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك المضغة إنسانا وغير مصورة, فإذا صورت فهي مخلقة وإذا لم تصوّر فهي غير مخلقة. ذكر من قال ذلك:

18851- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد في قوله: مُخَلَّقَةٍ قال: السقط, مخلقة وعجْرٍ مُخَلَّقَةٍ.

حدثني محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: **مُخَلَّعَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّعَةٍ** قال: السقط، مخلوق وغير مخلوق.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

18852- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن عامر أنه قال في النطفة والمضغة إذا نكست في الخلق الرابع كانت تسمي مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة.

18853- قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن أبي سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالوية: **مُخَلَّعَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّعَةٍ** قال: السقط. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقاً سوياً إلا التصوير وذلك هو المراد بقوله: **مُخَلَّعَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّعَةٍ** خلقاً سوياً، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح.

وقوله: **لِنُبَيِّنَ لَكُمْ** يقول تعالى ذكره: جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام، لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعزفكم ابتداءنا خلقكم.

وقوله: **وَنُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** يقول تعالى ذكره: من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية، فأنا نقره في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها فلا تسقطه ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أدنا له بالخروج منها، فيخرج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18854- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **وَنُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** قال: التمام.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

18855- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **وَنُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** قال: الأجل المسمى: أقامته في الرحم حتى يخرج.

وقوله: **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً** يقول تعالى ذكره: ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغت الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلاً صغاراً ووجد «الطفل»، وهو صفة للجميع، لأنه مصدر مثل عدل وزور. وقوله: **ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ** يقول: ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم.

وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشد، والصواب من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

يقول تعالى ذكره: **وَمِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يَتُوفَى قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** فيموت، ومنكم من يُنْسَأُ في أجله فيعمر حتى يهرم فيرد من بعد انتهاء

شبابه وبلوغه غاية أشده إلى أرذل عمره، وذلك الهرم، حتى يعود كهيته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. ومعنى الكلام: ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر بعد بلوغه أشده لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ كَانَ يَعْلَمُهُ شَيْئًا.

وقوله: وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع. وأصل الهمود: الدروس والدثور، ويقال منه: همدت الأرض تهمد هُموداً ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس: قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبَاوَارَى ثِيَابِكَ بِالِيَاتِ هُمْدًا وَالهُمْدُ: جمع هامد، كما الرُّكْع جمع راعٍ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18856- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً قال: لا نبات فيها.

وقوله: فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها والمطر من السماء اهْتَزَّتْ يقول: تحركت بالنبات، وَرَبَّتْ يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18857- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ قال: عُرف الغيث في ربوها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ قال: حسنت، وعرف الغيث في ربوها.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت. ويوجه المعنى إلى الزرع، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض. وقرأت قراء الأمصار: وَرَبَّتْ بمعنى: الربو، الذي هو النماء والزيادة. وكان أبو جعفر القاريء يقرأ ذلك: «وَرَبَاتٌ» بالهمز.

18858- حدثت عن الفراء، عن أبي عبد الله التميمي عنه. وذلك غلط، لأنه لا وجه للرب ههنا، وإنما يقال رباً بالهمز بمعنى: حرس من الربيئة، ولا معنى للحراسة في هذا الموضع. والصحيح من القراءة ما عليه قراء الأمصار.

وقوله: وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ يقول جل ثناؤه: وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِهِجٍ. يعني بالبهيج: البهج، وهو الحسن. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18859- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ قال: حسن.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

الآية: 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ}.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلاً، وكهلاً، وشيخاً هرماً وتنبهناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها

من الغيث لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحق لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبه لا يتعدّر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب، وأن فاعل ذلك عليّ كلّ ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراده، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لا محالة لا ريبَ فيها يقول: لا شك في مجيئها وحدثها، وأنّ الله يبعث مَنْ فِي الْقُبُورِ حينئذٍ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَمْواتِ أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك ولا تمتروا فيه.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى:
{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به. وَلَا هُدًى يقول: وبغير بيان معه لما يقول ولا بُرْهان. وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ يقول: وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول. منير يقول بنير عن حجه، وإنما يقول ما يقول من الجهل ظلماً منه وحسبانا. وذكر أن عُني بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث من بني عبد الدار.

الآية : 9-10

القول في تأويل قوله تعالى: {ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ }.

يقول تعالى ذكره: يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ثاني عِطْفِهِ.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه وما المراد من وصفه إياه بذلك، فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبره وتبخره. وذكر عن العرب أنها تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: إذا جاء متبخترا من الكبر ذكر من قال ذلك:

18860- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ثَانِي عِطْفِهِ يقول: مستكبراً في نفسه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لاو رقبته. ذكر من قال ذلك:

18861- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ثَانِي عِطْفِهِ قال: رقبته.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

18862- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ثَانِي عِطْفِهِ قال: لاو عنقه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يُعْرَضُ عما يُدْعَى إليه فلا يسمع له. ذكر من قال ذلك:

18863- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ثَانِي عِطْفِهِ يَقُولُ: يعرض عن ذكره.

18864- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ثَانِي عِطْفِهِ عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: لا ويا رأسه، معرضاً مولياً، لا يريد أن يسمع ما قيل له. وقرأ: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَعْفِفْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْؤَا رُؤْسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا تُنزلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا.

18865- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ثَانِي عِطْفِهِ قَالَ: يعرض عن الحق. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولي عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله أعرض عن داعيه لموى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكباراً.

وقوله: لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضاً عن الحق استكباراً، ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه. له في الدنيا خزي يقول جل ثناؤه: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر. كما:

18866- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ قَالَ: قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ.

وقوله: وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ونحرقه يوم القيامة بالنار. وقوله: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الإجمام. وإن الله ليس بظلام للعبيد يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بعض عبده على جرم وهو يغفر مثله من آخر غيره، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه به وبغفو عن صاحب الذنب ولكنه لا يعاقب أحداً إلا على جرمه ولا يعذب أحداً على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحقاق به منه مغفرته.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }.

يعني جل ذكره بقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ أَعْرَابًا كَانُوا يَقْدُمُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدوا على أعقابهم فقال الله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى شَكٍّ،

فإنَّ إصابته أطمأنَّ به وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأنَّ به يقول: استقرَّ بالإسلام وثبت عليه. وإنَّ أصابته فتنه وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلبت على وجهه يقول: ارتدَّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18867- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ... إلى قوله: انقلبت على وجهه قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة، فإن صحَّ بها جسمه وتيجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأنَّ إليه وقال: ما أصبت منذ كنت علي ديني هذا إلا خيرا وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا وذلك الفتنة.

18868- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عنبسة، عن أبي بكر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قول الله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ قال: على شك.

18869- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: عَلَى حَرْفٍ قال: على شك. فإنَّ أصابه خير رَخاء وعافية اطمأنَّ به: استقرَّ. وإنَّ أصابته فتنه عذاب ومصيبة انقلبت ارتدَّ على وجهه كافرا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

قال ابن جريج: كان ناس من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه، وإلا لحقنا بأهلنا.

18870- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ قال: شك. فإنَّ أصابه خير يقول: أكثر ماله وكثرت ما شئته اطمأنَّ قال: لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير وإنَّ أصابته فتنه يقول: وإن ذهب ماله، وذهبت ما شئته انقلبت على وجهه حَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، نحوه.

18871- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ الآية، كان ناس من قبائل العرب وممن حول المدينة من القرى كانوا يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه، وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون: نحن على دينك فإن أصابوا معيشة وتزوجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان، اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق وإن تأخر عنهم الرزق وأزلقت

خيولهم وولدت نساؤهم البنات, قالوا: هذا دين سؤء فانقلبوا على وجوههم.

18872- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِمَّنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ قَالَ: هذا المنافق, إن صلحت له دنياه أقام على العبادة, وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب, ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه. وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق, ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقوله: خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ يَقُولُ: عَيْنَ هَذَا الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ صَفَتَهُ دُنْيَاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ مِنْهَا بِمَا كَانَ مِنْ عِبَادَتِهِ اللَّهُ عَلَى الشُّكِّ, وَوَضَعَ فِي تِجَارَتِهِ فَلَمْ يَرْبِحْ وَالْآخِرَةَ يَقُولُ: وَخَسِرَ الْآخِرَةَ, فَإِنَّهُ مَعْدَبٌ فِيهَا بِنَارِ اللَّهِ الْمَوْقَدَةِ. وَقَوْلُهُ: ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَقُولُ: وَخَسَارَتِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ هِيَ الْخُسْرَانُ, يَعْنِي الْهَلَاكُ. الْمُبِينُ يَقُولُ: بَيِّنَ لِمَنْ فَكَرَ فِيهِ وَتَدَبَّرَهُ أَنَّهُ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته الأمصار جميعا غير حميد الأعرج: خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَلَى وَجْهِ الْمَضِيِّ. وقرأه حميد الأعرج: «خاسيرا» نصبا على الحال على مثال فاعل.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}.

يقول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة, ارتد عن دين الله, يدعو من دون الله آلهة لا تنصره إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها. ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَقُولُ: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا.

18873- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ يَكْفُرُ بَعْدَ إِيمَانِهِ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {يَدْعُو لَمَنْ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ}.

يقول تعالى ذكره: يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضرها في الآخرة له, أقرب وأسرع إليه من نفعها. وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه: «يدعو مَنْ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ».

واختلف أهل العربية في موضع «مَنْ», فكان بعض نحويي البصرة يقول: موضعه نصب ب «يدعو», ويقول: معناه: يدعو لآلهة ضرها أقرب من نفعها, ويقول: هو شاذ لأنه لم يوجد في الكلام: يدعو لزيدا. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: اللام من صلة «ما» بعد «مَنْ» كأن معنى الكلام عنده: يدعو من لضره أقرب من نفعه وحكي عن العرب سماعا منها: عندي لَمَّا غَيْرُهُ خَيْرٌ مِنْهُ, بمعنى: عندي ما لغيره خير منه وأعطيتك لما

غيره خير منه، بمعنى: ما لغيره خير منه. وقال: جائز في كل ما لم يتبين فيه الإعراب الاعتراض باللام دون الاسم.

وقال آخرون منهم: جائز أن يكون معنى ذلك: هو الضلال البعيد يدعو فيكون «يدعو» صلة «الضلال البعيد»، وتضمير في «يدعو» الهاء ثم تستأنف الكلام باللام، فتقول لمن صرّه أقرب من نفعه: لبئس المولى كقولك في الكلام في مذهب الجزاء: لَمَا قَعَلْتَ لَهُوَ حَيْرٌ لَكَ. فعلى هذا القول «من» في موضع رفع بالهاء في قوله «صَرَّه»، لأن «مَنْ» إذا كانت جزاء فإنما يعربها ما بعدها، واللام الثانية في «لبئس المولى» جواب اللام الأولى. وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح، والأول إلى مذهب أهل التأويل أقرب.

وقوله: لَبِئْسَ الْمَوْلَى يَقول: لبئس ابن العمّ هذا الذي يعبد الله على حرف. وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ يَقول: ولبئس الخليط المعاشر والصاحب، هو، كما:

18874- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ قال: العشير: هو المعاشر الصاحب.

وقد قيل: عني بالمولى في هذا الموضع: الولي الناصر.

وكان مجاهد يقول: عني بقوله: لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ الوثن.

18875- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: «وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ قال: الوثن.

الآية: 14

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}. يقول تعالى ذكره: إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا، وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جَنَّاتٍ يعني بساتين، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول: تجري الأنهار من تحت أشجارها. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته وما شاء من الهوان أهل معصيته.

الآية: 15 و 16

القول في تأويل قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ}.
اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله: أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ.

فقال بعضهم: عني بها نبي الله صلى الله عليه وسلم. فتأويله على قوله بعض قائل ذلك: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل وهو السبب إلى السماء: يعني سماء البيت، وهو سقفه، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به، فليظن هل يذهبن

اختناقه ذلك وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيط يقول: هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيط ذكر من قال ذلك:

18876- حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثني أبي، قال: ثني خالد بن قيس، عن قتادة: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه، فليمدد بسبب يقول: بحبل إلى سماء البيت فليختنق به، فليَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَ: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ يَقُولُ: بِحَبْلِ إِلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ، ثُمَّ لِيَقْطَعْ يَقُولُ: ثُمَّ لِيَخْتَنُقْ بِهٖ، ثُمَّ لِيَنْظُرْ هَلْ يَذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة، بنحوه.

وقال آخرون ممن قال الهاء في «ينصره» من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم: السماء التي ذكرت في هذا الموضع هي السماء المعروفة. قالوا: معنى الكلام، ما:

18877- حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقِرْأَ حَتَّى بَلَغَ: هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ قَالَ: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَكَايِدُ هَذَا الْأَمْرَ لِيَقْطَعَهُ عَنْهُ وَمِنْهُ، فَلِيَقْطَعْ ذَلِكَ مِنْ أَصْلِهِ مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ، فَإِنْ أَصْلُهُ فِي السَّمَاءِ، فَلِيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ، لِيَقْطَعَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَكَايِدُهُ حَتَّى يَقْطَعَ أَصْلَهُ عَنْهُ، فَكَايِدُ ذَلِكَ حَتَّى يَقْطَعَ أَصْلَهُ عَنْهُ. فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ مَا دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَغَاظَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَصْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ.

وقال آخرون ممن قال «الهاء» التي في قوله: «يَنْصُرُهُ» من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معنى النصرها هنا الرزق. فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام: من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا في الدنيا، ولن يعطيه. وذكروا سماعا من العرب: من ينصرني نصره الله، بمعنى: من يعطني أعطاه الله. وحكوا أيضا سماعا منهم: نصر المطر أرض كذا: إذا جادها وأحياها. واستشهد لذلك بيت الفقعسي:

وَإِنَّكَ لَا تُعْطِي أَمْرًا قَوْقَ حَظْهَوْلًا تَمْلِكُ الشُّقَّ الَّذِي الْعَيْثُ نَاصِرُهُ
ذكر من قال ذلك:

18878- حدثني أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطية، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: قلت لابن عباس: رأيت قوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ؟ قال: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا، فليربط حبلًا في سقف ثم ليختنق به حتى يموت.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن التميمي، قال: سألت ابن عباس، عن قوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ قَالَ: أَنْ لَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ وَالسَّبَبِ: الْحَبْلُ، وَالسَّمَاءُ: سَقْفُ الْبَيْتِ فَلْيَعْلُقْ حَبْلًا

في سماء البيت ثم ليختنق فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ هَذَا الَّذِي صَنَعَ مَا يَجِدُ مِنَ الْغَيْظِ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو بن مطرف، عن أبي إسحاق، عن رجل من بني تميم، عن ابن عباس، مثله.

18879- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: سَمَاءُ الْبَيْتِ.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت التميمي، يقول: سألت ابن عباس، فذكر مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... إِلَى قَوْلِهِ: مَا يَغِيظُ قَالَ: السَّمَاءُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَمْدُ إِلَيْهَا بِسَبَبٍ سَقَفَ الْبَيْتِ أَمْرٌ أَنْ يَمْدُ إِلَيْهِ بِحَبْلِ فَيَخْتَنِقُ بِهِ، قَالَ: فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهِبُ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ إِذَا اخْتَنَقَ إِنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَنْصُرَهُ اللَّهُ

وقال آخرون: الهاء في «ينصره» من ذكر «مَنْ». وقالوا: معني الكلام: من كان يظنُّ أن لا يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ثم ليختنق، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيط، أنه لا يرزق ذكر من قال ذلك:

18880- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قول الله أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ قَالَ: يَرْزُقُهُ اللَّهُ. فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ قَالَ: بِحَبْلِ إِلَى السَّمَاءِ سَمَاءً مَا فَوْقَكَ. ثُمَّ لِيَقْطَعْ لِيَخْتَنِقَ، هَلْ يَذْهِبُ كَيْدَهُ ذَلِكَ خَنْقَهُ أَنْ لَا يَرْزُقَ.

18881- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني ججاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ يَرْزُقُهُ اللَّهُ. فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: بِحَبْلِ إِلَى السَّمَاءِ.

قال ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: إلى السماء إلى سماء البيت، قال ابن جريج: وقال مجاهد: ثُمَّ لِيَقْطَعْ قَالَ: لِيَخْتَنِقَ، وَذَلِكَ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ قَالَ: ذَلِكَ خَنْقَهُ أَنْ لَا يَرْزُقَهُ اللَّهُ.

18882- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ يَعْنِي: بِحَبْلِ. إِلَى السَّمَاءِ يَعْنِي: سَمَاءَ الْبَيْتِ.

18883- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علي، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: سئل عكرمة عن قوله: فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: سَمَاءُ الْبَيْتِ. ثُمَّ لِيَقْطَعْ قَالَ: يَخْتَنِقُ.

وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قوما يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش أو السبوغ في الرزق. وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى

الكلام إذن إذ كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاط من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ؟ فإن لم يذهب ذلك غيظه، حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجل قبل حينه. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطئوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يمروننا ولا يروونا فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فليمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل هو مُذْهِبٌ غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدّم نصره قبل حينه.

واختلف أهل العربية في «ما» التي في قوله: ما يغيظ فقال بعض نحويي البصرة هي بمعنى «الذي»، وقال: معنى الكلام: هل يذهبن كيده الذي يغيظه. قال: وحذفت الهاء لأنها صلة «الذي»، لأنه إذا صار جميعا اسما واحدا كان الحذف أخف. وقال غيره: بل هو مصدر لا حاجة به إلى الهاء، هل يذهبن كيده غيظه.

وقوله: وكذلك أنزلناه آيات بيّنات يقول تعالى ذكره: وكما بيّنت لكم حُجَجِي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه فأوضحتها أيها الناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بيّنات، يعني دلالات واضحات، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحق. وأنّ الله يهدي مَنْ يُريدُ يقول جل ثناؤه: ولأن الله يوفى للصاب واللسبيل الحق من أراد، أنزل هذا القرآن آيات بيّنات و «أن» في موضع نصب.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود والصائبين والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به ورسله فذلك هو الفصل من الله بينهم. وكان فتادة يقول في ذلك، ما:

18884- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن فتادة، في قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا قال: الصابئون: قوم يعبدون

الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرءون الزبور. والمجوس: يعبدون الشمس والقمر والنيران. والذين أشركوا: يعبدون الأوثان. والأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن.

وأدخلت «إِنَّ» في خبر «إِنَّ» الأولى لما ذكرت من المعنى، وأن الكلام بمعنى الجزاء، كأنه قيل: من كان على دين من هذه الأديان ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله. والعرب تدخل أحيانا في خبر «إِنَّ» «إِنَّ» إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره، فتقول: إِنَّ عبد الله

إِنَّ الخير عنده لكثير، كما قال الشاعر.
إِنَّ الخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلُهُسِرْبَالٌ مُلْكٌ بِهِ تُرَجَى الحَوَاتِيمُ
وكان الفراء يقول: من قال هذا لم يقل: إِنَّك إِنَّك قائم، ولا إن إياك إنه قائم لأن الاسمين قد اختلفا، فحسن رفض الأول، وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ، فحسن للاختلاف وقبح للاتفاق.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ يقول: إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تريا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجن وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدواب في الأرض وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس وحين تزول إذا تحوّل ظل كل شيء فهو سجوده. كما: 18885- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ قال: ظلال هذا كله.

وأما سجود الشمس والقمر والنجوم، فإنه كما: 18886- حدثنا به ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر، قال: حدثنا عوف، قال: سمعت أبا العالية الرياحي يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعته. وقوله: وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ يقول: ويسجد كثير من بني آدم، وهم المؤمنون بالله. كما:

18887- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ قال: المؤمنون. وقوله: وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ يقول تعالى ذكره: وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله فوجب عليه بكفره به، وهو مع ذلك يسجد لله ظله. كما:

18888- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, عن مجاهد: وكثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وهو يسجد مع ظله.
 فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد, وقع قوله: وكثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ بالعطف على قوله: وكثيرٌ مِنَ النَّاسِ ويكون داخلا في عداد من وصفه الله بالسجود له, ويكون قوله: حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ من صلة «كثير», ولو كان «الكثير» الثاني ممن لم يدخل في عداد من وصفه بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله: حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وكان معنى الكلام حينئذ: وكثير أتى السجود, لأن قوله: حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ يدل على معصية الله وإبائه السجود, فاستحق بذلك العذاب.
 يقول تعالى ذكره: ومن يهنه الله من خلقه فَبِشِقِّهِ, فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ بالسعادة يسعده بها لأن الأمور كلها بيد الله, يوفق من يشاء لطااعته ويخذل من يشاء, وَيُشَقِّي مَنْ أَرَادَ وَيَسْعِدُ مَنْ أَحَبَّ.
 وقوله: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهنته وإكرام من أراد كرامته لأن الخلق خلقه والأمر أمره. لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ. وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه: «فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ» بمعنى: فما من إكرام, وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

الآية : 19 - 22

القول في تأويل قوله تعالى: { هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ * الَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }.
 اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله, فقال بعضهم: أحد الفريقين: أهل الإيمان, والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر. ذكر من قال ذلك:
 18889- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو هاشم عن أبي مجاز, عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذرٍّ يُقسم قَسَمًا أن هذه الآية: هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ نزلت في اللذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث, وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. قال: وقال علي: إني لأوّل أو من أوّل من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى.

حدثنا علي بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن أبي هاشم, عن أبي مجاز, عن قيس بن عباد, قال: سمعت أبا ذرٍّ يقسم بالله قسما لنزلت هذه الآية في ستة من قريش: حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم, وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ... إلى آخر الآية: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... إلى آخر الآية.
 حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي هاشم, عن أبي مجاز, عن قيس بن عباد, قال: سمعت أبا ذرٍّ يقسم, ثم ذكر نحوه.

18890- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن محبوب, قال: حدثنا سفيان, عن منصور بن المعتمر, عن هلال بن يساف, قال: نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ.

18891- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت هؤلاء الآيات: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فِي الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث, وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. إلى قوله: وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ.

18892- قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي هاشم, عن أبي مجلز, عن قيس بن عباد, قال: والله لأنزلت هذه الآية: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فِي الَّذِينَ خَرَجَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَوْمَ بَدْرٍ: حمزة وعلي وعبيدة رحمة الله عليهم, وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة. وقال آخرون ممن قال أحد الفرقين فريق الإيمان: بل الفريق الآخر أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:

18893- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس, قوله: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ قَالَ: هم أهل الكتاب, قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله, وأقدم منكم كتابا, ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله, أمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم, وأمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب, فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا, ثم تركتموه وكفرتم به حسدا. وكان ذلك خصومتهم في ربهم.

وقال آخرون منهم: بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أي ملة كانوا. ذكر من قال ذلك:

18894- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: حدثنا أبو ثميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح وأبي قرعة, عن الحسين, قال: هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم.

18895- قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: مثل الكافر والمؤمن قال ابن جريج: خصومتهم التي اختصموا في ربهم, خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين, يرون أنهم أولى بالله من غيرهم.

18896- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: كان عاصم والكلبي يقولان جميعا في: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ قَالَ: أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل, قال: جعل الشرك ملة.

18897- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ قَالَ: مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث.

وقال آخرون: الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية: الجنة والنار. ذكر من قال ذلك:

18898- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو ثميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عكرمة: هَذَانِ حَضَمَانٍ اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ قَالَ:

هما الجنة والنار اختصمتا، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته فقد قصّ الله عليك من خبرهما ما تسمع. وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: غني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين. وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حقّ عليه العذاب، فقال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثُمَّ قَالَ: وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ وَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَكَانَ بَيْنَا بِذَلِكَ أَنْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ خَبَرِ عِنْمَا.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذرّ في قوله: إِنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب. وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربتة إياه على دينه. وقوله: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: فَأَمَّا الْكَافِرُ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ يَاقُوعٌ فِي سَعِيرٍ مِنْ نَارٍ. كما:

18899- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ قَالَ: الْكَافِرُ قُطِعَتْ لَهُ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَدْخُلُهُ اللَّهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

18900- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ قَالَ: ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَحْمَى وَأَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الْكَافِرُ قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَدْخُلُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

وقوله: يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يَقُولُ: يَصَّبُ عَلَى رُؤُسِهِمْ مَاءٌ مُعَلَّى. كما:

18901- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن زيد، عن أبي السَّمْحِ، عن ابن حنبل، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْجَمْعَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ، وَهِيَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ».

حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا يعمر بن بشر، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا سعيد بن زيد، عن أبي السمع، عن ابن حنبل، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله، إلا أنه قال: «قَيِّدُ الْجُمُجَمَةِ حَتَّى يَخْلَصَ إِلَى جَوْفِهِ قَيْسَلَتْ مَا فِي جَوْفِهِ».

وكان بعضهم يزعم أن قوله: وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي معناه التقديم، ويقول: وجه الكلام: فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقول: إنما وجب أن يكون ذلك كذلك، لأن الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى يثقب رأسه، ثم يصب فيه الحميم الذي انتهى حره فيقطع بطنه. والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا، يدل على خلاف ما قال هذا القائل وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم إذا صب على رؤسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص إلى أجوافهم، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل، ولو كانت المقامع قد تثقب رؤوسهم قبل صب الحميم عليها، لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْحَمِيمَ يَنْفُذُ الْجُمُجَمَةَ» معنى ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل.

وقوله: يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ يَقُولُ: يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم، وتشوى جلودهم منه فتساقط. والصهر: هو الإذابة، يقال منه: صهرت الألية بالنار: إذا أذبتها أصهرها صهرا ومنه قول الشاعر.

تَرَوِي لَقَى الْقِي فِي صَفْصَفَتِضَهْرُهُ الشَّمْسُ وَلَا يَنْصَهَرُ
ومنه قول الراجز:

سَكَّ السِّفَايِدِ الشَّوَاءَ الْمُضْطَهَّرَ

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18902- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: يُضَهَّرُ بِهِ قَالَ: يُذَابُ إِذَابَةً. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال ابن جريج يُضَهَّرُ بِهِ: قال: ما قطع لهم من العذاب.

18903- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ قَالَ: يُذَابُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

18904- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ... إِلَى قَوْلِهِ: يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ يَقُولُ: يسقون ما إذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون.

18905- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر وهارون بن عنتر، عن سعيد بن جبير، قال: قال هارون: إذا عام أهل النار وقال جعفر: إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فيأكلون منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارا مراً بهم يعرفهم يعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثوا، فيغاثوا بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى

وقوله: **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** يقول: ولبوسهم التي تلي أبشارهم فيها ثياب حرير. وقوله: **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** يقول تعالى ذكره: وهدهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله. كما: 18907- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله: **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** قال: هدوا إلى الكلام الطيب: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله قال الله: **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ.**

18908- حدثنا علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** قال: ألهموا. وقوله: **وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** يقول جل ثناؤه: وهدهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه والحميد: فعيل، صرّف من مفعول إليه، ومعناه: أنه محمود عند أوليائه من خلقه، ثم صرّف من محمود إلى حميد.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ تَظْفَةً مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ }**.

يقول تعالى ذكره: **إِنَّ الَّذِينَ جَدُّوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ** والباد يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به والباد: وهو المنتاب إليه من غيره.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه والباد، في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر. ذكر من قال ذلك:

18909- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن سابط، قال: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل. ففشا فيهم السرقة، وكل إنسان يسرق من ناحيته، فاصطنع رجل بابا، فأرسل إليه عمر: أتخذت بابا من حجاج بيت الله؟ فقال: لا، إنما جعلته ليحرز متاعهم. وهو قوله: **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** قال: الباد فيه كالمقيم، ليس أحد أحقّ بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل.

18910- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، قال: قلت لسعيد بن جبير: أعتكف بمكة؟ قال: أنت عاكف. وقرأ: **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ.**

18911- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام عن عنبسة، عن ذكره، عن أبي صالح: **سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ الْعَاكِفُ: أهله، والباد: المنتاب في المنزل سواء.**

18912- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ يَقُولُ: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

18913- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ قَالَ: العاكف فيه: المقيم بمكة والباد: الذي يأتيه هم في سواء في البيوت.

18914- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ سواء فيه أهله وغير أهله.
حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

18915- حدثنا ابن حميد، قال حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ قَالَ: أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء. وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

18916- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ قَالَ: الساكن، والباد الجانب سواء حق الله عليهما فيه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ قَالَ: الساكن والباد: الجانب.

18917- قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعطاء: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ قَالَا: من أهله، والباد الذي يأتيه من غير أهله هما في حرمة سواء.

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك لأن الله تعالى ذكره ذكر في أوّل الآية صدّ من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام، فقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنِّي سَبِيلَ اللَّهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ ثُمَّ ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاهُ أَنَّهُ جَعَلَهُ لِلنَّاسِ كَلْهَمًا، فَالْكَافِرُونَ بِهِ يَمْنَعُونَ مِنْ أَرَادِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ عَنْهُ. ثم قال: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ فَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ خَبْرَهُ عَنِ اسْتِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَعْنَى الَّتِي ابْتَدَأَ اللَّهُ الْخَبْرَ عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ صَدُّوا عَنْهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَذَلِكَ لَا شَكَّ طَوَافِهِمْ وَقَضَاءِ مَنَاسِكِهِمْ بِهِ وَالْمَقَامِ، لَا الْخَبْرَ عَنْ مَلِكِهِمْ إِيَّاهُ وَغَيْرِ مَلِكِهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنِّي سَبِيلَ اللَّهِ فَعَطَفَ بِ «يَصُدُّونَ» وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ عَلَى «كَفَرُوا» وَهُوَ مَاضٍ، لِأَنَّ الصَّدَّ بِمَعْنَى الصِّفَةِ لَهُمُ وَالِدَوَامِ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى الْكَلَامِ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا بَلْفِظِ الْاسْمِ أَوْ الْاسْتِقْبَالِ، وَلَا يَكُونُ بَلْفِظِ الْمَاضِي. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ صِفَتِهِمْ الصِّدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللَّهِ: الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْأَمْصَارِ عَلَى رَفْعِ «سَوَاءً» بِ «العاكف» وَ «العاكف» بِهِ، وَإِعْمَالِ «جَعَلْنَاهُ» فِي الْهَاءِ الْمَتَّصِلَةِ بِهِ، وَاللَّامِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ «لِلنَّاسِ»، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْكَلَامَ بِ «سَوَاءً» وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ بِ «سَوَاءً» إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ حَرْفٍ قَدْ تَمَّ الْكَلَامُ بِهِ، فَتَقُولُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ سَوَاءً عِنْدَهُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَقَدْ يَجُوزُ فِي ذَلِكَ الْخَفْضُ. وَإِنَّمَا يَخْتَارُ الرَّفْعَ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ «سَوَاءً» فِي

مذهب واحد عندهم، فكأنهم قالوا: مررت برجل واحد عنده الخير والشر. وأما من خفضه فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشر، ومن قال ذلك في سواء فاستأنف به ورفع لم يقله في «معتدل»، لأن «معتدل» فعل مصرّح، وسواء مصدر فاخراجهم إياه إلى الفعل كاخراجهم حسب في قولهم: مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل. وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه: سواءً نصبا على أعمال «جعلناه» فيه، وذلك وإن كان له وجه في العربية، فقراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

وقوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ يقول تعالى ذكره: ومن يرد فيه إلحادا يظلم نذقه من عذاب أليم، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم. وأدخلت الباء في قوله «بالحاد» والمعنى فيه ما قلت، كما أدخلت في قوله: تنبت بالدهن والمعنى: تنبت الدهن، كما قال الشاعر:

يَوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّيْثَ صَدْرُهُ أَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَّهَانِ
والمعنى: وأسفله ينبت المرخ والشبهان وكما قال أعشى بني ثعلبة:
صَمِنْتُ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَابِينَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحِ الْأَجْرَدِ
بمعنى: ضمنت رزق عيالنا أرماحنا في قول بعض نحويي البصريين.
وأما بعض نحويي الكوفيين فإنه كان يقول: أدخلت الباء فيه، لأن تأويله: ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم. وكان يقول: دخول الباء في «أن» أسهل منه في «إلحاد» وما أشبهه، لأن «أن» تضمير الخوافض معها كثيرا وتكون كالشرط، فاحتملت دخول الخافض وخروجه لأن الإعراب لا يتبين فيها، وقال في المصادر: يتبين الرفع والخفض فيها، قال: وأنشدني أبو الحجاج:

فَلَمَّا رَجَتْ بِالشَّرْبِ هَزَّ لَهَا الْعَصَاشِحِيحُ لَهُ عِنْدَ الْأَدَاءِ تَهِيمٌ
وقال امرؤ القيس:
أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بَأَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بِنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا
قال: فأدخل الباء على «أن» وهي في موضع رفع كما أدخلها على «إلحاد» وهو في موضع نصب. قال: وقد أدخلوا الباء على ما إذا أرادوا بها المصدر، كما قال الشاعر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَبَاءُ تَنْمِيمًا لَأَقْتُ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ
وقال: وهو في «ما» أقل منه في «أن»، لأن «أن» أقل شيها بالأسماء من «ما». قال: وسمعت أعرابيا من ربيعة، وسألته عن شيء، فقال: أرجو بذاك يريد أرجو ذلك.

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أي بالبيت ذكر من قال ذلك:

18918- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ يَقُولُ: بِشْرِكِ.
18919- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ هو أن يعبد فيه غير الله.

18920- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ قَالَ: هو الشرك، من أشرك في بيت الله عذبه الله.

18921- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة، مثله وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه. ذكر من قال ذلك:

18922- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل، فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم.

18923- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ قَالَ: يعمل فيه عملاً سيئاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

18924- حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأودي قالوا: حدثنا المحاربي، عن سفيان عن السدي، عن مرة عن عبد الله، قال: ما من رجل بهم بسيئة فتكتب عليه، ولو أن رجلاً بعد أن بين هم أن يقتل رجلاً بهذا البيت، لأذاقه الله من العذاب الأليم.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله قال مجاهد، قال يزيد، قال لنا شعبة، رفعه، وأنا لا أرفعه لك في قول الله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ قَالَ: «لو أن رجلاً هم فيه بسيئة وهو بعدن أبين، لأذاقه الله عذاباً أليماً».

18925- حدثنا الفضل بن الصباح، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ قَالَ: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها، فتكتب عليه.

18926- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ قَالَ: الإلحاد: الظلم في الحرم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم: استحلال الحرم متعمداً. ذكر من قال ذلك:

18927- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: بِالْحَادِ يَظْلَمُ قَالَ: الذي يريد استحلاله متعمداً ويقال الشرك.

وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة. ذكر من قال ذلك:
18928- حدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن أشعث، عن حبيب بن أبي ثابت في قوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ قَالَ: الإلحاد: الظلم في الحرم.

يُرَدُّ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ قَالَ: هم المحتكرون الطعام بمكة.

وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهياً عنه من الفعل، حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله. ذكر من قال ذلك:

18929- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: كان له فسطاطان: أحدهما في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فسئل عن ذلك، فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله.

18930- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن أبي ربيعي، عن الأعمش، قال: كان عبد الله بن عمرو يقول: لا والله وبلى والله من الإلحاد فيه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومته. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصى الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له. وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ» بفتح الياء، بمعنى: ومن يرد به بالإلحاد من وردت المكان أروه. وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب. وذلك أن «يَرِدُ» فعل واقع، يقال منه: هو يرد مكان كذا أو بلدة كذا غدا، ولا يقال: يَرِدُ في مكان كذا. وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب أن طيننا تقول: رغبت فيك، تريد: رغبت بك، وذكر أن بعضهم أنشده بيتا:

وَأَرْعَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سَيْسٍ لَسْتُ أَرْعَبُ
بمعني: وأرعب بها. فإن كان ذلك صحيحا كما ذكرنا، فإنه يجوز في الكلام، فأما القراءة به غير جائزة لما وصفت.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُعَلِّمَهُ عَظِيمَ مَا رَكِبَ مِنْ قَوْمِهِ قَرِيشَ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ بِعِبَادَتِهِمْ فِي حَرَمِهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَائِهِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالرِّيبِ وَالشَّرْكِ: واذكريا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم، يعني بقوله: «بوأنا»: وطأنا له مكان البيت. كما:

18931- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة، قوله: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ قَالَ: وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه فنقص

إلى ستين ذراعا. وإن آدم لما قَدَّ أصوات الملائكة وتسبيحهم, شكا ذلك إلى الله, فقال الله: يا آدم إني قد أهبطت لك بيتا يُطاف به كما يطاف حول عرشِي, ويُصلى عنده كما يصلى حول عرشِي, فانطلق إليه فخرج إليه, ومدَّ له في خطوه, فكان بين كل خطوتين مفازة, فلم تزل تلك المفاوز على ذلك حتى أتى آدم البيت, فطاف به ومن بعده من الأنبياء. 18932- حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين, انطلق إبراهيم حتى أتى مكة, فقام هو وإسماعيل, وأخذا المعاول, لا يدریان أين البيت, فبعث الله ريحا يقال لها ريح الحَجُوج, لها جناحان ورأس في صورة حية, فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول, واتبعاها بالمعاول يحفران, حتى وضعا الأساس فذلك حين يقول: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ. ويعني بالبيت: الكعبة, أَنْ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا فِي عِبَادَتِكَ يَاي, وَطَهَّرْ بَيْتِي الَّذِي بَنَيْتَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. كما:

18933- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي عن سفيان عن ليث, عن مجاهد, في قوله: وَطَهَّرْ بَيْتِي قَالَ: من الشرك. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن عطاء, عن عبيد بن عمير, قال: من الآفات والرَّيب.

18934- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: طَهَّرَا بَيْتِي قَالَ: من الشرك وعبادة الأوثان. وقوله: لِلطَّائِفِينَ يَعْنِي لِلطَّائِفِينَ بِهِ. وَالْقَائِمِينَ بِمَعْنَى الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ قِيَامٌ فِي صَلَاتِهِمْ. كما:

18935- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو ثَمِيلَةَ, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عطاء في قوله: وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ قَالَ: القائمون في الصلاة.

18936- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وَالْقَائِمِينَ قَالَ: القائمون المصلون.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله. 18937- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالْقَائِمِينَ وَالرَّكْعِ السَّجُودِ قَالَ: القائم والراكع والساجد هو المصلي, والطائف هو الذي يطوف به. وقوله: وَالرَّكْعِ السَّجُودِ يَقُولُ: والركع السجود في صلاتهم حول البيت.

الآية : 27 - 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَيَّ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالرَّاسِ الْفَقِيرِ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ }.

يقول تعالى ذكره: عهدنا إليه أيضا أن أذن في الناس بالحج يعني بقوله: وَأَذِّنْ أَعْلَمْ وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام. يَأْتُوكَ رِجَالًا يَقُولُ: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على

أرجلهم، وَعَلِمَى كُلِّ صَّامِرٍ يَقُولُ: وَرَكَبَانَا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، وَهِيَ الْإِبِلُ الْمَهَازِيلُ. يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ قَجٍّ عَمِيقٍ يَقُولُ: تَأْتِي هَذِهِ الضَّوَامِرُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَقُولُ: مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَمَكَانٍ وَمَسْلَكٍ بَعِيدٍ. وَقِيلَ: «يَأْتِينَ» فَجَمَعَ لِأَنَّهُ أَرِيدَ بِكُلِّ ضَامِرٍ: النَّوْقُ. وَمَعْنَى الْكُلِّ: الْجَمْعُ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: «يَأْتِينَ». وَقَدْ زَعَمَ الْفَرَاءُ أَنَّهُ قَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَرَرْتُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ قَائِمِينَ قَالَ: وَهُوَ صَوَابٌ، وَقَوْلُ اللَّهِ: وَعَلَى كُلِّ صَّامِرٍ يَأْتِينَ يَنْبِئُ عَنْ صِحَّةِ جَوَازِهِ. وَذَكَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِالتَّائِبِينَ بِالْحَجِّ، قَامَ عَلَى مَقَامِهِ فَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحَجُّوا بَيْتَهُ الْعَتِيقَ.

وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك. فقال بعضهم: نادي بذلك، كما: 18938- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: أَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَالَ: رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: أَدْنُ وَعَلَى الْبَلَاغِ فَنَادَى إِبْرَاهِيمُ: أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَحَجُّوا قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجِيئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبُونَ؟

18939- حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أدن في الناس بالحج قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا ابن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَالَ: قَامَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ عَلَى الْحَجْرِ، فَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ، فَاسْمَعُ مِنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَحُجَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ 18940- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُونَكَ رِجَالًا قَالَ: وَقَرَّتْ فِي قَلْبِ كُلِّ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.

18941- حدثني ابن حميد، قال: حدثنا حكام عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه، أن أدن في الناس بالحج قال: فخرج فنادى في الناس: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا فَحَجُّوهُ فَلَمْ يَسْمَعْهُ يَوْمئِذٍ مِنْ إِنْسٍ، وَلَا جِنٍّ، وَلَا شَجَرٍ، وَلَا أَكْمَةٍ، وَلَا تَرَابٍ، وَلَا جَبَلٍ، وَلَا مَاءٍ، وَلَا شَيْءٍ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ 18942- قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْمَقَامِ حِينَ أَمَرَ أَنْ يُؤَدَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَالَ: قَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى مَقَامِهِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا رَبَّكُمْ فَقَالُوا: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ فَمَنْ حَجَّ الْيَوْمَ فَهُوَ مِمَّنْ أَجَابَ إِبْرَاهِيمَ يَوْمئِذٍ.

18943- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرمة بن خالد المخزومي, قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت, قام على المقام, فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجّوه قال داود: فأرجوا من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام.

18944- حدثني محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, عن أبي عاصم العتويّ, عن أبي الطفيل, قال: قال ابن عباس: هل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت: وكيف كانت التلبية؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤدّن في الناس بالحجّ, خفضت له الجبال رؤسها, ورُفِعَت القرى, فأدّن في الناس.

18945- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قوله: وأدّن في الناس بالحجّ قال إبراهيم: كيف أقول يا ربّ؟ قال: قل: يا أيها الناس استجيبوا لربكم قال: وقُرّت في قلب كل مؤمن. وقال آخرون في ذلك, ما:

18946- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة, عن مجاهد, قيل لإبراهيم: أدّن في الناس بالحجّ قال: يا ربّ كيف أقول؟ قل لبيك اللهم لبيك قال: فكانت أوّل التلبية. وكان ابن عباس يقول: عُني بالناس في هذا الموضع: أهل القبلة. ذكر الرواية بذلك:

18947- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأدّن في الناس بالحجّ يعني بالناس: أهل القبلة, ألم تسمع أنه قال: إن أوّل بيت وُضِعَ للناس للذي ببكة مباركاً... إلى قوله: وَمَنْ دَخَلَهُ آمِنًا يَقُولُ: وَمَنْ دَخَلَهُ مِنْ النَّاسِ الَّذِينَ أُمِرَ أَنْ يُؤَدَّنَ فِيهِمْ, وكتب عليهم الحجّ, فإنه آمن, فعظموا حرّمات الله تعالى, فإنها من تقوى القلوب.

وأما قوله: يَا تُوكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ فَإِنَّ أَهْلَ التَّوْبِيلِ قَالُوا فِيهِ نَحْوُ قَوْلِنَا. ذكر من قال ذلك:

18948- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: يَا تُوكَ رَجَالًا قَالَ: مَشَاءَ.

18949- قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة, قال: قال ابن عباس: ما أبهى على شيء فأتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا, سمعت الله يقول: يَا تُوكَ رَجَالًا.

18950- قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: حجّ إبراهيم وإسماعيل ماشيين.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن ابن عباس: يَا تُوكَ رَجَالًا قَالَ: عَلَى أَرْجُلِهِمْ.

18951- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ قَالَ: الْإِبِلُ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ قَالَ: الْإِبِلُ.

18952- حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا المحاربي, عن عمر بن ذر, قال: قال مجاهد: كانوا لا يركبون, فأنزل الله: يَا تُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ قَالَ: فأمرهم بالزاد, ورخص لهم في الركوب والمتجر. وقوله: مِنْ كُلِّ قَجٍّ عَمِيقٍ.

18953- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس: مِنْ كُلِّ قَجٍّ عَمِيقٍ يَعْنِي: من مكان بعيد.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: مِنْ كُلِّ قَجٍّ عَمِيقٍ قَالَ: بعيد.

18954- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: قَجٍّ عَمِيقٍ قَالَ: مكان بعيد.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة مثله.

وقوله: لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هي التجارة ومنافع الدنيا. ذكر من قال ذلك:

18955- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو عن عاصم, عن أبي رزين, عن ابن عباس: لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قَالَ: هي الأسواق.

18956- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو ثميلة, عن أبي حمزة, عن جابر بن الحكم, عن مجاهد عن ابن عباس, قال: تجارة.

18957- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم بن بهدلة, عن أبي رزين, في قوله: لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قَالَ: أسواقهم.

18958- قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن واقد, عن سعيد بن جبيرة: لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قَالَ: التجارة.

حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا إسحاق عن سفيان, عن واقد, عن سعيد بن جبيرة, مثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن واقد, عن سعيد, مثله.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا سنان, عن عاصم بن أبي النجود, عن أبي رزين: لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قَالَ: الأسواق.

وقال آخرون: هي الأجر في الآخرة, والتجارة في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

18959- حدثنا ابن بشار, وسوار بن عبد الله, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قَالَ: التجارة, وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة.

حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: حدثنا إسحاق, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: حدثنا سفيان, قال: أخبرنا إسحاق, عن أبي بشر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قال: الأجر في الآخرة, والتجارة في الدنيا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة. ذكر من قال ذلك: 18960- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن جابر, عن أبي جعفر: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ قال: العفو.

18961- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني أبو ثميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, قال: قال محمد بن عليّ: مغفرة.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عني بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة وذلك أن الله عمّ لهم جميع ما يشهد له الموسم ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة, ولم يخص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل, فذلك على العموم في المنافع التي وصفت.

وقوله: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ يقول تعالى ذكره: وكى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبذن التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم, في أيام مَعْلُومَاتٍ وَهِنَّ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ. وفي قول بعضهم أيام العشر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق.

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات, وبينا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع غير أني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضوع.

18962- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ يعني أيام التشريق.

18963- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاک في قوله: أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ يعني أيام التشريق, على ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ يعني البدن.

18964- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ قال: أيام العشر, والمعدودات: أيام التشريق.

وقوله: فَكَلُوا مِنْهَا يَقُولُ: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرت اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك, إن لم يأكل من هديه أو بدنته, أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه, فكان معلوما بذلك أنه غير واجب. ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم:

18965- حدثنا سوار بن عبد الله, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن ابن جريج, عن عطاء, قوله: فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ قال: كان لا يرى الأكل منها واجبا.

18966- حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن مجاهد، أنه قال: هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل، وهي كقوله: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ يعني قوله: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ.

18967- قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: فَكُلُوا مِنْهَا قال: هي رخصة، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل.

18968- قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء في قوله: فَكُلُوا مِنْهَا قال: هي رخصة، فإن شاء أكلها وإن شاء لم يأكل.

18969- حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا زيد، قال: حدثنا سفيان، عن حصين، عن مجاهد، في قوله: فَكُلُوا مِنْهَا قال: إنما هي رخصة. وقوله: وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ يقول: وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبُذْنكم البائس، وهو الذي به ضرر الجوع والرَّمانة والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18970- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، قوله: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ يعني: الرِّمَنَ الْفَقِيرَ.

18971- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن رجل، عن مجاهد: البائس الْفَقِيرَ: الذي يمد إليك يديه.

18972- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: الْبَائِسَ الْفَقِيرَ قال: هو القانع.

18973- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني عمر بن عطاء، عن عكرمة، قال: البائس: المضطر الذي عليه البؤس، والفقير: المتعفف.

قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، قوله: الْبَائِسَ الذي يبسط يديه.

وقوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ يَقول: تعالى ذكره: ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك جهنم: من حلق شعر، وأخذ شارب، ورمي جمرة، وطواف بالبيت.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18974- حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثني يزيد، قال: أخبرنا الأشعث بن سوار، عن نافع، عن ابن عمر، أنه قال: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: ما هم عليه في الحج.

18975- حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا يزيد، قال: ثني الأشعث، عن نافع، عن ابن عمر، قال: التقت: المناسك كلها.

18976- قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس، أنه قال، في قوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: التقت: حلق الرأس، وأخذ من الشاربين، وبتف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والموقف بعرفة والمزدلفة.

18977- حدثنا حميد، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا خالد، عن عكرمة، قال: التقت: الشعر والظفر.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن خالد، عن عكرمة، مثله.

18978- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن محمد بن كعب القرظي, أنه كان يقول في هذه الآية: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ: رمي الجمار, وذبح الذبيحة, وأخذ من الشاربين واللحية والأظفار, والطواف بالبيت وبالصفا والمروة.

18979- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: هو حلق الرأس. وذكر أشياء من الحج قال شعبة: لا أحفظها. قال: حدثنا ابن أبي عدي, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

18980- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: حلق الرأس, وحلق العانة, وقص الأظفار, وقص الشارب, ورمي الجمار, وقص اللحية.

18981- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله. إلا أنه لم يقل في حديثه: وقص اللحية.

18982- حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا المحاربي, قال: سمعت رجلاً يسأل ابن جريج, عن قوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: الأخذ من اللحية, ومن الشارب, وتقليم الأظفار, وتنف الإبط, وحلق العانة, ورمي الجمار.

18983- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور, عن الحسن, وأخبرنا جوبير, عن الضحاك أنهما قالاً: حلق الرأس.

18984- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ يعني: حلق الرأس.

18985- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: التفت: حلق الرأس, وتقليم الظفر.

18986- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ يقول: نسكهم.

18987- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: التفت: حرمهم.

18988- حدثني علي, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ قال: يعني بالتفت: وضع إحرامهم من حلق الرأس, ولبس الثياب, وقص الأظفار ونحو ذلك.

18989- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, قال: التفت: حلق الشعر, وقص الأظفار والأخذ من الشارب, وحلق العانة, وأمر الحج كله.

وقوله: وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ يقول: وليؤفوا الله بما نذروا من هدي وبدنة وغير ذلك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 18990- حدثني علي, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ نحر ما نذروا من البدن.

18991- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ نَذْرَ الْحَجِّ وَالْهَدْيِ، وَمَا نَذَرَ الْإِنْسَانُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الْحَجِّ».

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: «وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ نَذْرَ الْحَجِّ وَالْهَدْيِ، وَمَا نَذَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الْحَجِّ».

وقوله: «وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ يَقُولُ: وَلِيَطُوفُوا بِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ». واختلف أهل التأويل في معنى قوله: «الْعَتِيقُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ»، فقال بعضهم: قيل ذلك لبیت الله الحرام، لأن الله أعتقه من الجبابة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه. ذكر من قال ذلك:

18992- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، أن ابن الزبير، قال: إنما سمي البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجبابة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن الزبير، مثله.

18993- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إنما سمي العتيق، لأنه أعتق من الجبابة. 18994- قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أبو هلال، عن قتادة: «وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: أَعْتَقَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ».

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: «الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، يَعْنِي الْكَعْبَةَ».

وقال آخرون: قيل له عتيق لأنه لم يملكه أحد من الناس. ذكر من قال ذلك:

18995- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبيد، عن مجاهد، قال: إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء.

وقال آخرون: سمي بذلك لقدمه. ذكر من قال ذلك: 18996- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: الْعَتِيقُ: الْقَدِيمُ، لِأَنَّهُ قَدِيمٌ، كَمَا يُقَالُ: السِّيفُ الْعَتِيقُ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ بِنَاءِ آدَمَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهُ، ثُمَّ بَوَّأَ اللَّهُ مَوْضِعَهُ لِإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ الْعُرْقِ، فَبَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ».

قال أبو جعفر: ولك هذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في قوله: «الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَجِهٌ صَحِيحٌ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ أَغْلَبَ مَعَانِيهِ عَلَيْهِ فِي الظَّاهِرِ. غَيْرَ أَنَّ الَّذِي رُوِيَ عَنِ ابْنِ الزَّبِيرِ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ، إِنْ كَانَ مَا:

18997- حدثني به محمد بن سهل البخاري، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: أخبرني الليث، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، عن الزهري، عن محمد بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَلَمْ يَطْهَرْ عَلَيْهِ قَطُّ صَحِيحًا».

18998- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال الزهري: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ» ثم ذكر مثله.
وعني بالطواف الذي أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطَافُ به بعد التعريف, إما يوم النحر وإما بعده, لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك. ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك:
18999- حدثنا عمرو بن سعيد القرشي, قال: حدثنا الأنصاري, عن أشعث, عن الحسن: وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: طواف الزيارة.
19000- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا خالد, قال: حدثنا الأشعث, أن الحسن قال في قوله: وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: الطواف الواجب.
19001- حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ يعني: زيارة البيت.
19002- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن حجاج وعبد الملك, عن عطاء, في قوله: وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: طواف يوم النحر.
19003- حدثني أبو عبد الرحمن البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سألت زهيراً عن قول الله: وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: طواف الوداع.

واختلف القراء في قراءة هذه الحروف, فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا» بتسكين اللام في كل ذلك طلب التخفيف, كما فعلوا في «هو» إذا كانت قبله واو, فقالوا وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فسكنوا الهاء, وكذلك يفعلون في لام الأمر إذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم. وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة, غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله: «ثُمَّ لِيَقْضُوا» خاصة من أجل أن الوقوف على «ثم» دون «ليقضوا» حسن, وغير جائز الوقوف على الواو والفاء. وهذا الذي اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس, غير أن أكثر القراء على تسكينها.
وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي, أن التسكين في لام «ليقضوا» والكسر قراءتان مشهورتان ولغتان سائرتان, فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. غير أن الكسر فيها خاصة أقيس, لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة, لأن من قرأ: وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء, ويحركها في قوله: ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ فذلك الواجب عليه أن يفعل في قوله: «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» فيحرك اللام إلى الكسر ثم «ثم» وإن سكنها في قوله: وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ. وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري تحريكها مع «ثم» والواو, وهي لغة مشهورة, غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها, وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها, فالقراءة بها أعجب إليّ من كسرها.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكِ وَمَنْ يَعْظُمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }.

يعني تعالى ذكره بقوله ذلك: هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالندور والطواف بالبيت العتيق, هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس

في حكم. وَمَنْ يُعَظِّمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ يَقُولُ: وَمَنْ يَجْتَنِبِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِاجْتِنَابِهِ فِي حَالِ إِحْرَامِهِ تَعْظِيمًا مِنْهُ لِحُدُودِ اللَّهِ أَنْ يَوَاقِعَهَا وَحُرْمَهُ أَنْ يَسْتَحِلَّهَا، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ. كما:

19004- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال مجاهد، في قوله: ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ قَالَ: الْحُرْمَةُ: مَكَّةُ وَالْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ، وَمَا تَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ كُلِّهَا. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

19005- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَنْ يُعَظِّمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ قَالَ: الْحُرْمَاتُ: الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَالْبَلَدُ الْحَرَامُ هَؤُلَاءِ الْحُرْمَاتُ.

وقوله: وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَأَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْأَنْعَامَ أَنْ تَأْكُلُوهَا إِذَا ذَكَيْتُمُوهَا، فَلَمْ يَحْرَمْ عَلَيْكُمْ مِنْهَا بِحَيْرَةٍ، وَلَا سَائِيَةَ، وَلَا وَصِيلَةَ، وَلَا حَامًا، وَلَا مَا جَعَلْتُمُوهُ مِنْهَا لِأَهْتِكُمْ. إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ يَقُولُ: إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَذَلِكَ: الْمَيْتَةُ، وَالْدَمُ، وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ، وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمَنْخَنَقَةُ، وَالْمَوْقُودَةُ، وَالْمُتَرَدِّبَةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ، وَمَا دُبِحَ عَلَى النَّصَبِ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ رَجَسٌ. كما:

19006- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ قَالَ: إِلَّا الْمَيْتَةَ، وَمَا لَمْ يَذَكَرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ. حدثنا الحسن، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ يَقُولُ: فَاتَّقُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَطَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِي عِبَادَتِهَا فَإِنَّهَا رَجَسٌ.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19007- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَاجْتَنِبُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

19008- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ قَالَ: عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ.

وقوله: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاتَّقُوا قَوْلَ الْكُذْبِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ بِقَوْلِكُمْ فِي الْأَلْهَةِ: مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وَقَوْلِكُمْ لِلْمَلَائِكَةِ: هِيَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُذْبٌ وَزُورٌ وَشُرْكٌ بِاللَّهِ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19009- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: قَوْلَ الزُّورِ قَالَ: الْكُذْبُ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جُرَيْجٍ، عن مجاهد مثله.

19010- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس: «وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حَتْفَاءً لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ يَعْنِي: الْاِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ وَالتَّكْذِيبَ.»

19011- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عاصم، عن وائل بن ربيعة، عن عبد الله، قال: تعدل شهادة الزور بالشرك. وقرأ: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.»

19012- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن عاصم، عن وائل بن ربيعة، قال: «عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الشَّرْكَ.» ثم قرأ هذه الآية: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.»

19013- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا سفيان العصفري، عن أبيه، عن خريم بن فاتك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ.» ثم قرأ: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.»

19014- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مروان بن معاوية، عن سفيان العُصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خريم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ.»

ويجوز أن يكون مراداً به: اجتنبوا أن ترجسوا أيها الناس من الأوثان بعبادتكم إياها.

فإن قال قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل: فاجتنبوا الرجس منها؟ قيل: كلها رجس. وليس المعنى ما ذهب إليه في ذلك، وإنما معنى الكلام: فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها، فالذي أمر جل ثناؤه بقوله: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْهَا اتِّقَاءَ عِبَادَتِهَا، وَتِلْكَ الْعِبَادَةُ هِيَ الرِّجْسُ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ قَبْلَ.»

الآية : 31

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { حُنْفَاءً لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }.

يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصاً دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئاً من دونه فإنه من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقِّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خرَّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد، من قولهم: أبعد الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق ومنه قول الشاعر:

كَانَتْ لَنَا جَارَةٌ فَازْعَجَهَا قَادُورَةٌ تَسْحَقُ النَّوَى قُدَمَا

ويُروى: «تُسْحَقُ». يقول: فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابة الحقِّ، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19015_ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن
معمر, عن قتادة: فَكَأْتَمًا حَرًّا مِنَ السَّمَاءِ قَالَ: هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِمَنْ
أَشْرَكَ بِاللَّهِ فِي بُعْدِهِ مِنَ الْهُدَى وَهَلَكَ فَتَحَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة,
مثله.

19016_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا
عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا,
عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ قَالَ:
بعيد.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن
مجاهد, مثله.

وقيل: فَتَحَطَّفُهُ الطَّيْرُ وقد قيل قبله: فَكَأْتَمًا حَرًّا مِنَ السَّمَاءِ وَخَرًّا فَعَل
مَاضٍ, وَتَحَطَّفُهُ مُسْتَقْبَلٌ, فَعَطَفَ بِالسُّمِّيَّةِ عَلَى الْمَاضِي, كَمَا فَعَلَ
ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ
هَنَاقٌ.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من
اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور, حنفاء لله, وتعظيم شعائر
الله, وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر
الله جل ثناؤه, من تقوى قلوبكم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19017_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, قال: حدثنا
محمد بن زياد, عن محمد بن أبي ليلى, عن الحكم, عن مقسم, عن
ابن عباس, في قوله: وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ قَالَ:
استعظامها, واستحسانها, واستسمانها.

19018_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن
عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد, في قوله: وَمَنْ يُعْظَمُ
شَعَائِرَ اللَّهِ قَالَ: الاستسمان والاستعظام.

19019_ وبه عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال:
والاستحسان.

حدثنا عبد الحميد بن بيان الواسطي, قال: أخبرنا إسحاق, عن أبي بشر,
وحدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن
أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ قَالَ: استعظام
البدن, واستسمانها, واستحسانها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن
مجاهد, مثله.

19020- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، قال: الوقوف بعرفة من شعائر الله، ويجمع من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله، والبُدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله في قوله: وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَمِنْ يَعَظِّمُهَا فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ.

19021- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ قَالَ: الشعائر: الجمار، والصفاء والمروة من شعائر الله، والمَشْعَر الحرام والمزدلفة، قال: والشعائر تدخل في الحرم، هي شعائر، وهي حرم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما جعله أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم لم يخص من ذلك شيئا، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك. وقال: إِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ وَأَثَّ وَلَمْ يَقُلْ: «فإنه»، لأنه أريد بذلك. فإن تلك التعظمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه: إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوْرٌ رَحِيْمٌ. وعني بقوله: فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمتها وإخلاص توحيدها.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ}.

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله: وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ فقال الذين قالوا عني بالشعائر البدن. معنى ذلك: لكم أيها الناس في البدن منافع. ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع، وفي الأجل الذي قال عز ذكره: إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فقال بعضهم: الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها. قالوا: ومنافعها في هذه الحال: شرب ألبانها، وركوب ظهورها، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها. قالوا: والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليها، هو إلى إيجابهم إياها، فإذا أوجبها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شيء. ذكر من قال ذلك:

19022- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس في: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالَ: ما لم يُسَمَّ بُدْنَا.

19023- حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالَ: الركوب واللبن والولد، فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب كله.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في هذه الآية: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها، حتى تصير بُدْنًا.

قال: حدثنا ابن عديّ، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، بمثله. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: في أشعارها وأوبارها وألبانها، قبل أن تسميها بدنة. قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل أن تسمى هدبا. 19024- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، وزاد فيه: وهي الأجل المسمى.

19025- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء أنه قال في قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قال: منافع في ألبانها وظهورها وأوبارها، إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى: إلى أن تقلد.

19026- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، مثل ذلك.

19027- حدثني يعقوب، قال: قال ابن عليه: سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: إلى أن تُوجِبَهَا بَدَنَةً.

19028- قال: حدثنا ابن عليه، عن ابن أبي نجيح، عن قتادة: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى يقول: في ظهورها وألبانها، فإذا قلدت فمحلها إلى البيت العتيق.

وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن في قوله: وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ والهاء في قوله: لَكُمْ فِيهَا مِنْ ذِكْرِ الشَّعَائِرِ، ومعنى قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ لَكُمْ فِي الشَّعَائِرِ إِلَىٰ تَعْظُمُونَهَا لِلَّهِ مَنَافِعٌ بَعْدَ اتِّخَاذِكُمُوهَا لِلَّهِ بَدَنًا أَوْ هَدَايَا، بأن تركبوا ظهورها إذا احتجتم إلى ذلك، وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها. قالوا: والأجل المسمى الذي قال جل ثناؤه: إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى إلى أن تنحر. ذكر من قال ذلك:

19029- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: هو ركوب البدن، وشرب لبنها إن احتاج.

19030- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح في قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: إلى أن تنحر، قال: له أن يحملها عليها الْمُعْيِي والمَنْقَطَعُ به من الضرورة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة إذا احتاج إليها سيدها أن يحمل عليها ويركب عند منهوكة. قلت لعطاء: ما؟ قال: الرجل الراجل، والمَنْقَطَعُ به، والمتبع وإن نتجت، أن يحمل عليها ولدها،

ولا يشرب من لبنها إلا فضلاً عن ولدها، فإن كان في لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهداها.

وأما الذين قالوا: معنى الشعائر في قوله: وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ: شعائر الحج، وهي الأماكن التي يُنسك عندها لله، فإنهم اختلفوا أيضاً في معنى المنافع التي قال الله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ فقال بعضهم: معنى ذلك: لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم. والأجل المسمى: الخروج من الشعائر إلى غيرها ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم.

19031- حدثني الحسن بن عليّ الصّدائقي، قال: حدثنا أبو أسامة عن سليمان الضبي، عن عاصم بن أبي النّجود، عن أبي رزين، عن ابن عباس، في قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ قال: أسواقهم، فإنه لم يذكر منافع إلا للدنيا.

19032- حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى قال: والأجل المسمى: الخروج منه إلى غيره. وقال آخرون منهم: المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضوع: العمل لله بما أمر من مناسك الحجّ. قالوا: والأجل المسمى: هو انقضاء أيام الحجّ التي يُنسك لله فيهنّ. ذكر من قال ذلك:

19033- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَجَلَّهَا إلى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فقراً قول الله: وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِي تِلْكَ الشّعائر منافع إلى أجل مسمى، إذا ذهبت تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها يتنغي الأجر، ولا المزدلفة، ولا رمي الجمار، وقد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع، وإنما منافعها إلى تلك الأيام، وهي الأجل المسمى، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق.

قال أبو جعفر: وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره: وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ معنيّ به: كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علماً لمناسك حجّ خلقه، إذ لمن يخصص من ذلك جلّ ثناؤه شيئاً في خير ولا عقل. وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنيّ قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى، فما كان من هذه الشعائر بدناً وهدياً، فمنافعها لكم من حين تملكون إلى أن أوجبتموها هدايا وبدناً، وما كان منها أماكن ينسك لله عندها، فمنافعها التجارة لله عندها والعمل بما أمر به إلى الشخصوس عنها، وما كان منها أوقاتاً بأن يُطاع الله فيها بعمل أعمال الحجّ وبطلب المعاش فيها بالتجارة، إلى أن يطاف بالبيت في بعض، أو يوافق الحرم في بعض ويخرج عن الحرم في بعض.

وقال اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى في تأويل قوله: ثُمَّ مَجَلَّهَا إلى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فقال الذين قالوا عني بالشعائر في هذا الموضوع البُدن: معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة، وهي التي بها البيت العتيق. ذكر من قال ذلك:

19034- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: أخبرنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن عطاء: ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ إِلَى مَكَّةَ.

19035- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ يَعْنِي مَحَلَّ الْبَدَنِ حِينَ تَسْمَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

19036- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: ثُمَّ مَجَلَّهَا حِينَ تَسْمَى هَدِيًّا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ, قَالَ: الْكَعْبَةُ أَعْتَقَهَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ.

فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى تَمَّ منحر البدن والهدايا التي أوجتموها إلى أرض الحرم. وقالوا: عني بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك نظير قوله: فَلَا يَفْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْمَرَادُ: الْحَرَمُ كُلُّهُ. وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلکم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم. ذكر من قال ذلك:

19037- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا داود بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى: ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَالَ: مَجَلَّ هَذِهِ الشَّعَائِرُ كُلَّهَا الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ. وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلُّ منافع أيام الحجِّ إلى البيت العتيق بانقضائها. ذكر من قال ذلك:

19038- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ حِينَ تَنْقُضِي تِلْكَ الْأَيَّامَ, أَيَّامَ الْحَجِّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محلُّ الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق, فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم, وما كان من نُسُكٍ فالطواف بالبيت. وقد بيَّنا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَافِرُونَ بِهِمْ}.

يقول تعالى ذكره: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ وَلِكُلِّ جَمَاعَةٍ يَسَلَفَ فِيكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ, جَعَلْنَا ذَبْحًا يُهْرَبِقُونَ دَمَهُ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ بِذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ الْبَهَائِمِ مَا لَيْسَ مِنَ الْأَنْعَامِ, كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم. ونحن الذي قلنا في تأويل قوله: جَعَلْنَا مَنْسَكًا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذكر من قال ذلك:

19039- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا قَالَ: إِهْرَاقُ الدَّمَاءِ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

وقوله: **فَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ** يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان, واجتنبوا قول الزور, فالهكم إله واحد لا شريك له, فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: **فَلَهُ أَسْلِمُوا** يقول: فلا إلهكم فاحضعوا بالطاعة, وله فذلوا بالإقرار بالعبودية. وقوله: **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة, المذعنين له بالعبودية, المنيبين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا.

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع, فقال بعضهم: أريد به: وبشّر المطمئنين إلى الله. ذكر من قال ذلك:

19040_ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد: **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** قال: المطمئنين.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, قوله: **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** المطمئنين إلى الله.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد, قوله: **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** قال: المطمئنين.

19041_ حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** قال: المتواضعين. وقال آخرون في ذلك بما:

19042_ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن مسلم, عن عثمان بن عبد الله بن أوس, عن عمرو بن أوس, قال: **المخبتون: الذين لا يظلمون, وإذا ظلموا لم ينتصروا.**

حدثني محمد بن عثمان الواسطي, قال: حدثنا حفص بن عمر, قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي, قال: ثني عثمان بن عبد الله بن أوس, عن عمرو بن أوس مثله.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: **{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّائِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**.

فهذا من نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: وبشّر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته, **وَجَلَّ** من عقابه وخوفا من سخطه. كما:

19043_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** قال: لا تقسو قلوبهم. **وَالصَّائِرِينَ** على ما أصابهم من شدة في أمر الله, وبالهم من مكروه في جنبه.

وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ المفروضة. **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ** من الأموال. **يُنْفِقُونَ** في الواجب عليهم إنفاقها فيه, في زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ سَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } .

يقول تعالى ذكره: والبُدْن وهي جمع بَدَنَة، وقد يقال لواحدها: بَدَن، وإذا قيل بَدَن احتتمل أن يكون جمعا وواحدا، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز:

عَلِيٍّ حِينَ تَمَلِّكُ الْأُمُورَ اصْوَمَ شُهُورَ وَجَبَتْ نُدُورًا
وَخَلَقَ رَأْسِي وَافِيَا مَصْفُورًا وَبَدَنًا مُدَّرَّعًا مَوْفُورًا

والبَدَن: هو الضخم من كل شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير: البَدَن، لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بَدَنَ تدينا. فمعنى الكلام: والإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها، علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر. كما:

19044- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن ابن جريج، قال: قال عطاء: والبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ سَعَائِرِ اللَّهِ قال: البقرة والبعير. وقوله: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ يقول: لكم في البدن خير وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها، وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19045- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ قال: أجر ومنافع في البدن.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19046- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ قال: اللبن والركوب إذا احتاج. حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن منصور، عن إبراهيم: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ قال: إذا اضطررت إلى بدنتك ركبتها وشربت لبنها.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ من احتاج إلى ظهر البدينة ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب. وقوله: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ يقول تعالى ذكره: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى الْبُدَنِ عِنْدَ نَحْرِكُمْ إِذَا حَرَكْنَا بِهَا صَوَافَّ.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ بمعنى مصطفة، واحدها: صافة، وقد صفت بين أديها. ورؤي عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة آخر معهم، أنهم قرءوا ذلك: «صَوَافِي» بالياء منصوبة، بمعنى: خالصة لله لا شريك له فيها صافية له. وقرأ بعضهم ذلك: «صَوَافٍ» بإسقاط الياء وتنوين الحرف، على مثال: عوارٍ وعوادي. ورؤي عن ابن مسعود أنه قرأه: «صَوَافِنٌ» بمعنى: مُعَقَلَةٌ.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها، لإجماع الحجة من القراء عليه بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك. ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها:

19047- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، في قوله: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ قال: الله أكبر الله أكبر، اللهم منك ولك. صَوَافَّ: قياما على ثلاث أرجل. فقيل لابن عباس: ما نضع بجلودها؟ قال: تصدقوا بها، واستمتعوا بها.

19048- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أيوب بن سويد، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، في قوله: صَوَافَّ قال: قائمة، قال: يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم منك ولك.

حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ قال: قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله، الله أكبر، اللهم منك ولك.

19049- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: صَوَافَّ قال: معقولة إحدى يديها، قال: قائمة على ثلاث قوائم.

19050- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ يقول: قياما.

19051- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، قوله: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ والصَوَافَّ: أن تعقل قائمة واحدة، وتصفها على ثلاث فتحرها كذلك.

19052- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا يعلى بن عطاء، قال: أخبرنا بجير بن سالم، قال: رأيت ابن عمر وهو ينحربدته، قال: فقال: صَوَافَّ كما قال الله، قال: فتحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها.

19053- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا ليث، عن مجاهد، قال: الصَوَافَّ: إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث.

19054- قال: حدثنا ليث، عن مجاهد، في قوله: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ قال: صَوَافَّ بين أوظافها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: صَوَافَّ قال: قيام صَوَافَّ على ثلاث قوائم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ قال: بين وظائفها قياما.

19055- حدثنا ابن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، عن خالد بن يزيد، عن ابن أبي هلال، عن نافع، عن عبد الله: أنه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت تصف أيديها بالقيود، قال: هي التي ذكر الله: فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ.

19056- حدثنا ابن حميد، قال: ثني جرير، عن منصور، عن رجل، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: قلت له: قول الله فاذكروا اسم الله

عَلَيْهَا صَوَافٍ؟ قال: إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها، وقل: الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم منك ولك، ثم سمّ ثم انحرها. قلت: فأقول ذلك للأضحية؟ قال: وللأضحية.

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه: «صَوَافِي» بالياء:
19057- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن الحسن أنه قال: «فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِي» قال: مُخْلِصِينَ.
قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: «صَوَافِي»: خالصة.
حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن: «صَوَافِي»: خالصة لله.

19058- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن شقيق الضبي: «فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِي» قال: خالصة.

19059- قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا أيمن بن نابل، قال: سألت طاوسا عن قوله: «فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِي» قال: خالصة.
19060- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِي» قال: خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون، يجعلون لله ولالهتهم صوافي صافية لله تعالى.

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه «صَوَافِنَ»:
19061- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: في حرف ابن مسعود: «فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِنَ»: أي معقلة قياما.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: في حرف ابن مسعود: «فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِنَ» قال: أي معقلة قياما.

19062- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: من قرأها «صَوَافِنَ» قال: معقولة. قال: ومن قرأها: صَوَافٍ قال: تصفّ بين يديها.

19063- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ يعني صوافن، والبدنة إذا نحرت عقلت يد واحدة، فكانت على ثلاث، وكذلك تُنحر.

قال أبو جعفر: وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل قوله: صَوَافٍ وهي المصطفة بين أيديها المعقولة إحدى قوائمها.

وقوله: فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا يَقُولُ: فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر، فَكَلُوا مِنْهَا وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قد وجبت الشمس: إذا غابت فسقطت للتغيب، ومنه قول أوس ابن حجر: أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ وَالبَدْرُ وَالكَوَاكِبُ لِلجَبَلِ الوَاجِبِ يعني بالواجب: الواقع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19064- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.** حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19065- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، في قوله: **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا قَالَ: إِذَا فَرَعْتَ وَتُجِرْتَ.**

19066- حدثني محمد بن عمار، قال: حدثنا عبید الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: **فَإِذَا وَجَبَتْ نَحْرَتْ.**

19067- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا قَالَ: إِذَا نَحْرَتْ.**

19068- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا قَالَ: إِذَا مَاتَتْ.**

وقوله: **فَكَلُّوا مِنْهَا** وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الإباحة والإطلاق يقول الله: **فَإِذَا نَحْرَتْ فَسَقَطَتْ مَيْتَةً بَعْدَ النَّحْرِ فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ أَكْلُهَا،** وليس بأمر إيجاب.

وكان إبراهيم النخعي يقول في ذلك ما:

19069- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: **المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل.**

19070- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن حصين، عن مجاهد، قال: **إِنْ شَاءَ أَكَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَأْكَل،** فهي بمنزلة: **فَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا.**

19071- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **فَكَلُّوا مِنْهَا وَأَطَعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ** يقول: **يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَطْعَمُ.**

19072- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن. وأخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، وأخبرنا حجاج، عن عطاء. وأخبرنا حصين، عن مجاهد، في قوله: **فَكَلُّوا مِنْهَا قَالَ: إِنْ شَاءَ أَكَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَأْكَل،** قال مجاهد: هي رخصة، هي كقوله: **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَمِثْلُ قَوْلِهِ: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا،** وقوله: **وَأَطَعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ** يقول: **فَأَطَعَمُوا مِنْهَا الْقَانِعَ.**

واختلف أهل التأويل في المعني بالقانع والمعتّر، فقال بعضهم: القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل، والمعتّر: الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. ذكر من قال ذلك:

19073- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: **وَأَطَعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ** قال: القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتّر: الذي يتعرّض لك ويلمّ بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدن.

19074- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليّ, عن ليث, عن مجاهد,
قال: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته, والمعتّر: الذي يتعرّض لك ولا
يسألك.

19075- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر,
عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: وأطعموا القانع والمُعْتَرّ القانع:
الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به, والمعتّر: الذي يمرّ بجانبك لا يسأل
شيئاً فذلك المعتّر.

وقال آخرون: القانع: الذي يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتّر: الذي يعتريك
فيسألك. ذكر من قال ذلك:

19076- حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن
عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: القانع والمُعْتَرّ يقول: القانع
المتعفف والمُعْتَرّ يقول: السائل.

19077- حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا
خصيف, قال: سمعت مجاهداً يقول: القانع: أهل مكة والمعتّر: الذي
يعتريك فيسألك.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا عطاء, عن خصيف, عن مجاهد مثله.
19078- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: ثني كعب
بن فروخ, قال: سمعت قتادة يحدث, عن عكرمة, في قوله: القانع
والمُعْتَرّ قال: القانع: الذي يقعد في بيته, والمعتّر: الذي يسأل.

19079- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن
قتادة, قال: القانع: المتعفف الجالس في بيته والمعتّر: الذي يعتريك
فيسألك.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد, قال: القانع والمُعْتَرّ قال: القانع: الطامع بما قبلك ولا
يسألك والمعتّر: الذي يعتريك ويسألك.

19080- حدثني نصر بن عبد الرحمن, قال: حدثنا المحاربي, عن
سفيان, عن منصور, عن مجاهد وإبراهيم قالا: القانع: الجالس في بيته
والمعتّر: الذي يسألك.

19081- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن
قتادة في القانع والمعتّر, قال: القانع: الذي يقنع بما في يديه والمعتّر:
الذي يعتريك, ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد: فَكَلُّوا مِنْهَا
وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ قال: القانع الذي يجلس في بيته, والمعتّر: الذي
يعتريك.

وقال آخرون: القانع: هو السائل, والمعتّر: هو الذي يعتريك ولا يسأل. ذكر
من قال ذلك:

19082- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا يونس, عن
الحسن, قال: القانع: الذي يقنع إليك ويسألك والمعتّر: الذي يتعرّض لك
ولا يسألك.

19083- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا
شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الحسن, في هذه الآية: وأطعموا القانع

والمُعْتَرِّ قال: القانع: الذي يقنع, والمُعْتَرِّ: الذي يعتريك. قال: وقال الكلبى: القانع: الذي يسألك والمُعْتَرِّ: الذي يعتريك, يتعَرِّض ولا يسألك. حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا المحاربي, عن سفيان, عن يونس, عن الحسن, في قوله: وأطعموا القانع والمُعْتَرِّ قال: القانع: الذي يسألك, والمُعْتَرِّ: الذي يتعَرِّض لك. 19084- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, قال: قال سعيد بن جبیر: القانع: السائل.

19085- حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي, قال: ثني غالب, قال: ثني شريك, عن فرات القزاز, عن سعيد بن جبیر, في قوله: القانع قال: هو السائل, ثم قال: أما سمعت قول الشماخ. لَمَالُ الْمَرْءِ يُضْلِحُهُ فَيُعْنَمُ قَرَهُ أَعْفٌ مِنَ الْقُنُوعِ قال: من السؤال.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن, أنه قال في قوله: وأطعموا القانع والمُعْتَرِّ قال: القانع: الذي يقنع إليك يسألك, والمُعْتَرِّ: الذي يريك نفسه ويتعَرِّض لك ولا يسألك. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشام, قال: أخبرنا منصور ويونس, عن الحسن, قال: القانع: السائل, والمُعْتَرِّ: الذي يتعَرِّض ولا يسأل.

19086- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلم: القانع: الذي يسأل الناس. وقال آخرون: القانع: الجار, والمُعْتَرِّ: الذي يعتريك من الناس. ذكر من قال ذلك:

19087- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, قال: القانع: جارك وإن كان غنياً, والمُعْتَرِّ: الذي يعتريك. حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, قال: قال مجاهد, في قوله: وأطعموا القانع والمُعْتَرِّ قال: القانع: جارك الغني, والمُعْتَرِّ: من اعتراك من الناس.

19088- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: وأطعموا القانع والمُعْتَرِّ أنه قال: أحدهما السائل, والآخر الجار.

وقال آخرون: القانع: الطواف, والمُعْتَرِّ: الصديق الزائر. ذكر من قال ذلك:

19089- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: ثني أبي وشعيب بن الليث, عن الليث, عن خالد بن يزيد, عن ابن أبي هلال, قال: قال زيد بن أسلم, في قول الله تعالى: القانع والمُعْتَرِّ فالقانع: المسكين الذي يطوف, والمُعْتَرِّ: الصديق والضعيف الذي يزور. وقال آخرون: القانع: الطامع, والمُعْتَرِّ: الذي يعتري بالبدن. ذكر من قال ذلك:

19090- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: القانع قال: الطامع والمُعْتَرِّ: من يعتري بالبدن من غني أو فقير.

19091_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عمر بن عطاء, عن عكرمة, قال: القانع: الطامع. وقال آخرون: القانع: هو المسكين, والمعتّر: الذي يتعرّض للحم. ذكر من قال ذلك:

19092_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأطعموا القانع والمُعْتَرَّ قال: القانع: المسكين, والمعتّر: الذي يعتّر القوم للحمهم وليس بمكسين, ولا تكون له ذبيحة, يجيء إلى القوم من أجل لحمهم, والبائس الفقير: هو القانع. وقال آخرون بما:

19093_ حدثنا به ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن فرات, عن سعيد بن جبیر, قال: القانع: الذي يقنع, والمعتّر: الذي يعتريك.

19094_ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن يونس, عن الحسن بمثله.

19095_ قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم ومجاهد: القانع والمُعْتَرَّ القانع: الجالس في بيته, والمعتّر: الذي يتعرّض لك. وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به, ل قيل: وأطعموا القانع والسائل, ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتّر. وفي إتباع ذلك قوله: والمعتّر الدليل الواضح عليّ أن القانع معنيّ به السائل, من قولهم: قنع فلان إلى فلان, بمعنى سأله وخضع إليه, فهو يقنع قنوعاً ومنه قول لبيد:

وأعطاني المولى على حين قفها إذا قال أبصر حلتني وقنوعي
وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي, فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعتّر: فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه.

وقوله: كذلك سخّرناها لكم يقول هكذا سخّرنا البدن لكم أيها الناس لعلكم تشكرون يقول: لتشكرونني على تسخيرها لكم.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّفْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: (لن) يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها, ولكن يناله اتقاؤكم إياه إن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه وعملمت فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتم بها حرماته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19096_ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, في قول الله: لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّفْوَى مِنْكُمْ قال: ما أريد به وجه الله.

19097_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّفْوَى مِنْكُمْ قال: إن اتقيت الله في هذه البدن, وعملمت فيها لله, وطلبت ما قال الله تعظيماً

لشعائر الله ولحرمت الله، فإنه قال: وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ قَالَ: وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ قَالَ: وجعلته طيباً، فذلك الذي يتقبل الله. فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟

وقوله: كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ يَقُول: هكذا سخر لكم البدن لتكبروا الله على ما هداكم يقول: كي تعظموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إياكم لدينه وللنسك في حركم. كما:

19098- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: لَتَكْبَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ قَالَ: على ذبحها في تلك الأيام. وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ يَقُول: وبشريا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}.

يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، إن الله لا يحب كل خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان كفور يقول: جحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عني بذلك دفع الله كفار قريش عن من كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِيهِمْ لَقَدِيرٌ}.

يقول تعالى ذكره: أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرآء المدينة: أذِنَ يضم الألف، يُقَاتِلُونَ بفتح التاء بترك تسمية الفاعل في «أذِنَ» و«يُقَاتِلُونَ» جميعاً. وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قرآء البصرة: أذِنَ بترك تسمية الفاعل، و«يُقَاتِلُونَ» بكسر التاء، بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين. وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين وبعض المكيين: «أذِنَ» بفتح الألف، بمعنى: أذن الله، و«يُقَاتِلُونَ» بكسر التاء، بمعنى: إن الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين. وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى لأن الذين قرءوا أذِنَ على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله. وإن من قرأ «يُقَاتِلُونَ وَيُقَاتِلُونَ» بالكسر أو الفتح، فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك أن من قاتل إنساناً فالذي قاتله له مقاتل، وكل واحد منهما مقاتل. فإذا كان كذلك فبأية هذه القراءات قرأ القاريء فمصيب الصواب.

غير أن أحب ذلك إلي أن أقرأ به: «أذِنَ» بفتح الألف، بمعنى: أذن الله، لقرب ذلك من قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ أذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم، فيرد «أذِنَ» على قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وكذلك أحب القراءات إلي في «يُقَاتِلُونَ» كسر التاء، بمعنى: الذين

يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم، فيكون الكلام متصلاً معنى بعضه ببعض.

وقد اختلف في الذين عُتِبوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال، فقال بعضهم: عني به: نبي الله وأصحابه. ذكر من قال ذلك:

19099- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا** وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ يَعْنِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ إِذَا أُخْرِجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَقُولُ اللَّهُ: **فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** وقد فعل.

19100- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، قال رجل: **أَخْرَجُوا نبيهم فنزلت: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا...** الآية، الذين أُخْرِجُوا مِنْ ديارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ.

19101- حدثنا يحيى بن داود الواسطي، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: **لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن قال ابن عباس: فأنزل الله: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. وهي أول آية نزلت.

قال ابن داود: قال ابن إسحاق: كانوا يقرءون: **أَذِنَ** ونحن نقرأ: **«أَذِنَ»**.
19102- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا إسحاق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: **لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال أبو بكر: قد علمت أنه يكون قتال. وإلى هذا الموضوع انتهى حديثه، ولم يزد عليه.**

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: **لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ليهلكن جميعاً فلما نزلت: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا...** إلى قوله: **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ديارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ** عرف أبو بكر أنه سيكون قتال.

19103- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا** قال: **أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين. وقرأ: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ديارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ** وقال: هؤلاء المؤمنون.

19104- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ديارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ**. وقال آخرون: بل عُني بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة، فمُنِعُوا من ذلك. ذكر من قال ذلك:

19105- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ**

ظَلِمُوا قَالَ: أَنَا سِي مَؤْمِنُونَ خَرَجُوا مَهَاجِرِينَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانُوا يَمْنَعُونَ، فَأَذَنَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ، فَقَاتَلُوهُمْ.

19106- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَاجَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ مَجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: «أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا قَالَ: نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجُوا مَهَاجِرِينَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا يَمْنَعُونَ، فَأَدْرَكَهُمُ الْكُفَّارُ، فَأَذَنَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ فَقَاتَلُوهُمْ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَقُولُ: أَوَّلُ قِتَالِ أَذْنِ اللَّهِ بِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

19107- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنِ مَعْمَرٍ، عَنِ قَتَادَةَ: فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ قَتَادَةَ: وَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ، فَأَذَنَ لَهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوا.

19108- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ مَعْمَرٍ، عَنِ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: «أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا قَالَ: هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ، فَأَذَنَ لَهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوا.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَزْعَمُ أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا قَالَ: أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِالْقِتَالِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ إِذَا آذَوْهُمْ وَاسْتَدَّوْا عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ غَيْلَةَ سَرًّا فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفُورٍ فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَطْلَقَ لَهُمْ قَتْلَهُمْ وَقِتَالَهُمْ، فَقَالَ: «أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا. وَهَذَا قَوْلُ ذَكَرَ عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ مِنْ وَجْهِ غَيْرِ ثَبَتَ.

وَقَوْلِهِ: «وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى تَضَرُّهِمْ لَقَدِيرٌ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِقَادِرٌ، وَقَدْ نَصَرَهُمْ فَأَعَزَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِأَيْدِيهِمْ.

الآية : 40

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ فِ «الَّذِينَ» الثَّانِيَةِ رَدًّا عَلَى «الَّذِينَ» الْأُولَى. وَعَنَى بِالْمَخْرَجِينَ مِنْ دَوْرِهِمْ: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ كُفَّارُ قَرِيْشٍ مِنْ مَكَّةَ. وَكَانَ إِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ دَوْرِهِمْ وَتَعْذِيبُهُمْ بِعَضَمٍ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَسَبِّهِمْ بِعَضَمٍ بِالسُّنْتِهِمْ وَوَعِيدِهِمْ إِيَّاهُمْ، حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْهُمْ. وَكَانَ فَعْلُهُمْ ذَلِكَ بِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى بَاطِلٍ وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْحَقِّ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَقَوْلُهُ: إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَّا بِقَوْلِهِمْ: رَبَّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِ «أَنْ» فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ رَدًّا عَلَى الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِثْنَاءِ.

وَقَوْلُهُ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19109- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ دَفَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولولا القتال والجهاد في سبيل الله. ذكر من قال ذلك:

19110- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ قَالَ: لولا القتال والجهاد. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعدهم من التابعين. ذكر من قال ذلك:

19111- حدثنا إبراهيم بن سعيد, قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم, عن سيف بن عمرو, عن أبي روق, عن ثابت بن عوسجة الحضرمي, قال: حدثني سبعة وعشرون من أصحاب عليّ وعبد الله منهم لاحق بن الأقرم, والعزيز بن جرول, وعطية القرظي, أن عليّاً رضي الله عنه قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عَنِ التَّابِعِينَ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِعَّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عن لا يجوز قبول شهادته وغيره, فأحيا بذلك مال هذا ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا, وتركوا المظالم من أجله, لتظالم الناس فهدمت صوامع. ذكر من قال ذلك:

19112- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يَقُول: دفع بعضهم بعضاً في الشهادة, وفي الحق, وفيما يكون من قبل هذا. يقول: لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض, لهدم ما ذكر, من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض, وكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه بعضهم التظالم, كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق, ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض, لولا ذلك لتظالموا, فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمى جلّ ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عني من ذلك بعضاً دون بعض, ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له, فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا.

وقوله: لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِالصَّوَامِعِ, فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا صَوَامِعُ الرَّهْبَانِ. ذكر من قال ذلك:

19113- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن رُفيع في هذه الآية: لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ قَالَ: صَوَامِعُ الرَّهْبَانِ.

19114- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً,

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ قال: صوامع الرهبان.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ قال: صوامع الرهبان.

19115- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ قال: صوامع الرهبان.

19116- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قال: حدثنا سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول: في قوله: لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ وهي صوامع الصغار بينونها.

وقال آخرون: بل هي صوامع الصابئين. ذكر من قال ذلك:

19117- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: صَوَامِعُ قال: هي للصابئين.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

واختلفت القراء في قراءة قوله: لَهْدَمْتُ. فقرأ ذلك عامة قراء المدينة: «لَهْدَمْتُ» خفيفة. وقرأته عامة قراء أهل الكوفة والبصرة: لَهْدَمْتُ بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرّة بعد مرّة. والتشديد في ذلك أعجب القراءتين إليّ. لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك.

وأما قوله وَيَبِّعُ فإنه يعني بها: بيع النصارى.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

19118- حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن رُفيع: وَيَبِّعُ قال: بيع النصارى.

19119- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَيَبِّعُ للنصارى.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

19120- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول: البيعُ: بيع النصارى.

وقال آخرون: عُني بالبيع في هذا الموضع: كنائس اليهود. ذكر من قال ذلك:

19121- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: وَيَبِّعُ قال: وكنائس.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19122- وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَيَبِّعُ قال: البيعُ الكنائس.

قوله: وَصَلَوَاتُ اٰخْتَلَفَ اهل التاويل في معناه، فقال بعضهم: عني بالصلوات الكنائس. ذكر من قال ذلك:

19123- حدثني محمد سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس, في قوله: وَصَلَوَاتُ قَالَ: يعني بالصلوات الكنائس.

19124- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدٌ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَصَلَوَاتُ: كَنَائِسُ الْيَهُودِ, وَيَسْمُونَ الْكَنِيسَةَ صَلَوَاتًا.

19125- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى, قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ, عَنْ مَعْمَرٍ, عَنْ قَتَادَةَ: وَصَلَوَاتُ كَنَائِسُ الْيَهُودِ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ, قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ, قَالَ: أَخْبَرْنَا مَعْمَرٌ, عَنْ قَتَادَةَ, مِثْلَهُ.

وقال آخرون: عني بالصلوات مساجد الصابئين. ذكر من قال ذلك:
19126- حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى, قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى, قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ, قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْعَالِيَةَ عَنِ الصَّلَوَاتِ, قَالَ: هِيَ مَسَاجِدُ الصَّابِئِينَ.
19127- قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ, قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ, عَنْ رُفَيْعٍ, نَحْوَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ مَسَاجِدُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِأَهْلِ الْكِتَابِ بِالطَّرِيقِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19128- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ, قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ, قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا, عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ, عَنْ مَجَاهِدٍ, قَوْلِهِ: وَصَلَوَاتُ قَالَ: مَسَاجِدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالطَّرِيقِ.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ, قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ, قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ, عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ, عَنْ مَجَاهِدٍ, نَحْوَهُ.

19129- حَدَّثَنِي يُونُسُ, قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ, قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ, فِي قَوْلِهِ: وَصَلَوَاتُ قَالَ: الصَّلَوَاتُ صَلَوَاتُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ, تَنْقَطِعُ إِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ, انْقَطَعَتِ الْعِبَادَةُ, وَالْمَسَاجِدُ تَهْدَمُ, كَمَا صَنَعَ بِخَتَنَصْرٍ. وَقَوْلُهُ: وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا اخْتَلَفَ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي أَرِيدَتْ بِهَذَا الْقَوْلِ, فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِيدُ بِذَلِكَ مَسَاجِدَ الْمُسْلِمِينَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19130- حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى, قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ, قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ, عَنْ رُفَيْعٍ, قَوْلِهِ: وَمَسَاجِدُ قَالَ: مَسَاجِدَ الْمُسْلِمِينَ.

19131- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى, قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ, عَنْ قَتَادَةَ: وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا قَالَ: الْمَسَاجِدُ: مَسَاجِدَ الْمُسْلِمِينَ يَذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ, قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ, عَنْ مَعْمَرٍ, عَنْ قَتَادَةَ, نَحْوَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنِي بِقَوْلِهِ: وَمَسَاجِدُ: الصَّوَامِعُ وَالْبَيْعُ وَالصَّلَوَاتُ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19132- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدٌ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ, فِي قَوْلِهِ: وَمَسَاجِدُ يَقُولُ فِي كُلِّ هَذَا يَذَكَّرُ اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا, وَلَمْ يَخْصُ الْمَسَاجِدَ.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: الصلوات لا تهدم, ولكن حمله على فعل آخر, كأنه قال: وتركت صلوات. وقال بعضهم: إنما يعني:

مواضع الصلوات. وقال بعضهم: إنما هي صلوات، وهي كنائس اليهود، تُدعى بالعبرانية: صَلَوَاتًا.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا.

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه مَنْ وجهه إليه.

وقوله: وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ يقول تعالى ذكره: وليعيننَّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوه فَصُرَّ الله عبده: معونته إياه، وَيَنْصُرُ العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ يقول تعالى ذكره: إن الله لقويٌّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}.

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، الذين إن مكَّنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة. و«الذين» ها هنا رُدُّ على «الذين يقاتلون». ويعني بقوله: إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ إِن وَطَّنَّا لَهُمْ فِي الْبِلَادِ، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها وآتوا الزَّكَاةَ يقول: وأعطوا زكاة أموالهم مَنْ جعلها لله له. وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله. وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ يقول: ونهوا عن البشرك بالله والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله. وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ يقول: ولله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها والعقاب في الدار الآخرة.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19133- حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين الأشيب، قال: حدثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان، الذي يقال له الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالبة، في قوله: الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قال: كَانَ أَمْرُهُم بِالْمَعْرُوفِ أَنَّهُمْ دَعَوْا إِلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَنَهَيْهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنَّهُمْ نَهَوْا عَنِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ. قال: فمن دعا إلى الله من الناس كلهم فقد أمر بالمعروف، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن المنكر.

الآية : 42- 44

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَعَادٌ وَثَمُودٌ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى
فَأْمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْوِينُهُمْ }.

يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يناله من
أذى المشركين بالله، وخاصاً له على الصبر على ما يلحقه منهم من
السب والتكذيب. وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما
أتيتهم به من الحق والبرهان، وما تعدّهم من العذاب على كفرهم بالله،
فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله
ومنهاجهم من قبلهم، فلا يصدّك ذلك، فإن العذاب المهين من ورائهم
ونصري إياك وأتباعك عليهم أتيهم من وراء ذلك، كما أتى عذابي على
أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال. فقد
كذبت قبلاًهم يعني مشركي قريش قوم نوح، وقوم عاد وثمود، وقوم
إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وهم قوم شعيب. يقول: كذب كل
هؤلاء رسلاًهم. وكذب موسى فقيلاً: وكذب موسى ولم يقل: «وقوم
موسى»، لأن قوم موسى بنو إسرائيل، وكانت قد استجابت له ولم
تكذبه، وإنما كذبه فرعون وقومه من القبط. وقد قيل: إنما قيل ذلك
كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة.

وقوله: فَأْمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ يقول: فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه
الأمم، فلم أعجلهم بالنقمة والعذاب. ثم أخذتهم يقول: ثم أحللت بهم
العقاب بعد الإملاء فكيف كان تكوير يقول: فانظروا يا محمد كيف كان
تغيري ما كان بهم من نعمة وتكويري لهم عما كنت عليه من الإحسان
إليهم، ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتاً وهلاكاً وبالعمارة خراباً؟
يقول: فكذلك فعلت بمكذبك من قريش، وإن أمليت لهم إلى آجالهم،
فإني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في
أممهم، فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: { فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ
فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون
يقول: وهم يعبدون غير من ينبغي أن يعبد، ويعصون من لا ينبغي لهم أن
يعصوه. وقوله: فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا يقول: فباد أهلها وخلت،
وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها يعني على
بنائها وسقوفها. كما:

19134- حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا أبو خالد، عن جويبر، عن
الضحاك: فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قال: خَاوَاهَا: خرابها، وعروشها:
سقوفها.

19135- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة:
خَاوِيَةٌ قال: خربة ليس فيها أحد.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة.
مثله.

وقوله: وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ يَقُولُ تَعَالَى: فَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا، وَمَنْ بئْرٍ عَطَلْنَاهَا، بِإِفْنَاءِ أَهْلِهَا وَهَلَاكِ وَارِدِيهَا، فإندفنت وتعطلت، فلا واردة لها ولا شاربة منها. وَمِنْ قَصْرِ مَشِيدٍ رَفِيعٍ بِالصَّخُورِ وَالْجِصِّ، قَدْ خَلَا مِنْ سَكَانِهِ، بِمَا أَذَقْنَا أَهْلَهُ مِنْ عَذَابِنَا بِسُوءِ فِعَالِهِمْ، فَبَادُوا وَبَقِيَ قُصُورُهُمُ الْمَشِيدَةَ خَالِيَةً مِنْهُمْ. وَالبئْرُ والقصر مخفوضان بالعطف على «القرية». وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول: هما معطوفان على «العروش» بالعطف عليها خفضاً، وإن لم يحسن فيهما، على أن العروش أعالي البيوت والبئر في الأرض، وكذلك القصر لأن القرية لم تخو على القصر، ولكنه أتبع بعضه بعضاً كما قال: وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ فَمَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى مَا قَالَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي ذَلِكَ: فَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ، فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَلَهَا بئْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مَعَ البئْرِ رَافِعٌ وَلَا عَامِلٌ فِيهَا، أَتْبَعَهَا فِي الإِعْرَابِ «العروش»، وَالْمَعْنَى مَا وَصَفْتُ.

ونحو الذي قلنا في معنى قوله: وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19136- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ قَالَ: الَّتِي قَدْ تَرَكْتُ. وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا أَهْلَ لَهَا.

19137- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ قَالَ: عَطَلَهَا أَهْلُهَا، تَرَكَوْهَا.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، مِثْلَهُ.

19138- حُدِّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيَّامًا مَعَاذَ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عَبِيدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ قَالَ: لَا أَهْلَ لَهَا. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَقَصْرٌ مُجَصَّصٌ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

19139- حَدَّثَنِي مَطَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ هَلَالِ بْنِ خَبَّابٍ عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قَالَ: مُجَصَّصٌ.

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ هَلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ، قَالَ: ثَنِي غَالِبُ بْنُ فَائِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ هَلَالِ بْنِ خَبَّابٍ عَنْ عِكْرِمَةَ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَرِيُّ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَسْبَاطٍ، عَنْ السَّدِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قَالَ: مُجَصَّصٌ.

19140- حَدَّثَنِي مَطَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عِكْرِمَةَ، فَرَأَيْتُ حَائِطًا أَجْرًا مُصْهَرَجًا، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا الْمَشِيدُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ.

19141- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ، عَنْ هَلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ: وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قَالَ: الْمَجَصَّصُ. قَالَ عِكْرِمَةَ: وَالْجِصُّ بِالْمَدِينَةِ يُسَمَّى الشَّيْدَ.

19142- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَقَصَّرَ مَشِيدٍ قَالَ: بِالْقِصَّةِ أَوْ الْفِضَّةِ.
19143- حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَقَصَّرَ مَشِيدٍ قَالَ: بِالْقِصَّةِ يَعْنِي بِالْحِصِّ.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

19144- حدثنا الحسن, أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جُرَيْج, عن عطاء, في قوله: وَقَصَّرَ مَشِيدٍ قَالَ: مَجْصَصٌ.
19145- حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوري, عن هلال بن خباب, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَقَصَّرَ مَشِيدٍ قَالَ: مُجْصَصٌ. هَكَذَا هُوَ فِي كِتَابِي عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقصر رفيع طويل. ذكر من قال ذلك:
19146- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَقَصَّرَ مَشِيدٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُهُ شَيْدُوهُ وَحِصْنُوهُ, فَهَلَكُوا وَتَرَكَوهُ.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

19147- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَقَصَّرَ مَشِيدٍ يَقُولُ: طَوِيلٌ. وَأَوْلَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلٌ مِنْ قَالَ: عَنِي بِالْمَشِيدِ الْمَجْصَصُ, وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْدَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْحِصُّ بَعِينُهُ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

كَحَبَّةِ الْمَاءِ بَيْنَ الطَّيِّ وَالشَّيْدِ
فَالْمَشِيدُ: إِنَّمَا هُوَ مَفْعُولٌ مِنَ الشَّيْدِ وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:
وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِدْعٌ تَخْلَعُ وَلَا أَطْمَأْ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ
يعني بذلك: إِلَّا بِالْبِنَاءِ بِالشَّيْدِ وَالْجَنْدَلِ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى
بِالْمَشِيدِ: الْمَرْفُوعُ بِنَاوِهِ بِالشَّيْدِ, فَيَكُونُ الَّذِينَ قَالُوا: عَنِي بِالْمَشِيدِ
الطَّوِيلُ تَحَوُّوا بِذَلِكَ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَمِنْهُ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَللطَّيْرِ فِي دُرَاهُ وَكُوْرُ
وقد تأوَّله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته
أشيده: إِذَا زَيَّنْتَهُ بِهِ, وَذَلِكَ شَبِيهَ بِمَعْنَى مَنْ قَالَ مُجْصَصٌ.

الآية: 46

القول في تأويل قوله تعالى: {أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

يقول تعالى ذكره: أقلم يسيروا هؤلاء المكذِّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد, فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذِّبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم, كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب, وأوطانهم ومساكنهم, فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبيرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذب رسله, فينيبوا من عتوهم وكفرهم, ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحق قلوبٌ يعقلون بها

حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيّننا، أو آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا يقول: أو آذان تصغي لسماع الحق فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل. وقوله: فإنّها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ يقول: فإنها لا تعمي أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم ولكن تعمي قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته. والهاء في قوله: فإنّها لا تَعْمَى هاء عماد، كقول القائل: إنه عبد الله قائم. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «فإنّه لا تَعْمَى الأَبْصَارُ». وقيل: وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ والقلوب لا تكون إلا في الصدور، توكيدا للكلام، كما قيل: يَقُولُونَ بأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدّهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا، ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر. واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ أَيُّ يوم هو؟ فقال بعضهم: هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض. ذكر من قال ذلك:

19148- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ قال: من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

19149- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ... الآية، قال: هي مثل قوله في «الم تنزيل» سواء، هو هو الآية.

وقال آخرون: بل هو من أيام الآخرة. ذكر من قال ذلك:

19150- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة.

19151- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلَية، قال: حدثنا سعيد الجريدي، عن أبي تَصْرَةَ عن سمير بن نهار، قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ.

19152- حدثنا ابن بشار، قال: ثني عبد الرحمن، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن مجاهد: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ قال: من أيام الآخرة.

19153- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا بشعة، عن سماك، عن عكرمة، أنه قال في هذه الآية: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ قال: هذه أيام الآخرة. وفي قوله: ثُمَّ يَغْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ قال: يوم القيامة وقرأ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَتَرَاهُ قَرِيبًا.

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله، فقال بعضهم: إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا، فانزل الله: وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ فِي أَنْ يَنْزِلَ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ عَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فِي الدُّنْيَا.

وقال آخرون: قيل ذلك كذلك إعلاماً من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل، ولكنه يُمهّل إلى أجل أجله، وأن البطيء عندهم قريب عنده، فقال لهم: مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدّونه أتم أيها القوم من أيامكم، وهو عندكم بطيء وهو عندي قريب.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن يوماً من الثقل وما يخاف كآلف سنة. والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده، ثم أتبع ذلك قوله: وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَأَخْبَرَ عَنْ إِمْلَائِهِمْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الظَّالِمَةَ وَتَرْكِهِمْ مَعَاجِلَتَهُمْ بِالْعَذَابِ، فَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّهُ عَنِ بَقُولِهِ: وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ نَفَى الْعَجَلَةَ عَنْ نَفْسِهِ وَوَصَفَهَا بِالْأَنَاءَةِ وَالِانْتِظَارِ. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ: وَإِنْ يَوْمًا مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ وَاحِدٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ عِدَّتِكُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بِبَعِيدٍ وَهُوَ عِنْدَكُمْ بَعِيدٌ فَلِذَلِكَ لَا يَعَجَلُ بِعَقُوبَةٍ مِنْ أَرَادَ عَقُوبَتَهُ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَدَّتِهِ.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: { وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ }.

يقول تعالى ذكره: وكأين من قرية أملت لها يقول: أمهلتهم وأحرت عذابهم، وهم بالله مشركون ولأمره مخالفون وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه فلم أعجل بعذابهم. ثم أخذتها بالعذاب، فعذبتهم في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم. وإلى المصير يقول: وإلى مصيرهم أيضاً بعد هلاكهم، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له يقول تعالى ذكره: فكذلك حال مستعجلك بالعذاب من مشركي قومك، وإن أملت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم، فإني أخذهم بالعذاب فقاتلهم بالسيف ثم إلى مصيرهم بعد ذلك فموجعهم إذن عقوبة على ما قدّموا من آثامهم.

الآية : 49- 51

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا آتَاكُمْ تَزْيِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }.

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعاً منهم لكل شيطان مرید: يا أيها الناس إنما أنا لكم تزيير مبين أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا وعذابه في الآخرة أن تصلّوه مبين يقول: أبين لكم إنذارى ذلك وأظهره لتنبؤوا من شرككم وتجدروا ما أنذركم من ذلك لا أملك لكم غير ذلك، فإما تعجيل العقاب وتأخيرها الذي تستعجلونني به فإلى الله، ليس ذلك إلي ولا أقدر عليه. ثم وصف نذارته وبشارته، ولم

يجر للبشارة ذكر، ولما ذُكرت النذارة على عملٍ عُلم أن البشارة على خلافه، فقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَمَنْ غَيْرِكُمْ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يَقُولُ: لَهُمْ مِنْ اللَّهِ سِتْرٌ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يَقُولُ: وَرِزْقٌ حَسَنٌ فِي الْجَنَّةِ كَمَا:

19154- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قَالَ: الْجَنَّةِ.

وقوله: وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ يَقُولُ: وَالَّذِينَ عَمَلُوا فِي حُجَّتِنَا فَصَدُّوا عَنْ اتِّبَاعِ رَسُولِنَا وَالْإِقْرَارِ بِكِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ. وَقَالَ فِي آيَاتِنَا فَادْخَلَتْ فِيهِ «فِي» كَمَا يَقَالُ: سَعَى فُلَانٌ فِي أَمْرِ فُلَانٍ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: مُعَاجِزِينَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: مُسَاقِقِينَ. ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ:

19155- حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، أنه قرأها: مُعَاجِزِينَ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، يَعْنِي بِالْفِ، وَقَالَ: مُسَاقِقِينَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَعْجِزُونَ اللَّهَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ. ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ:

19156- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ قَالَ: كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَ اللَّهَ، وَلَنْ يَعْجِزُوهُ. وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، مِثْلَهُ.

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه: فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ بِالْألفِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَامَةٌ قِرَاءَةُ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ. وَأَمَّا بَعْضُ قِرَاءَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةَ فَإِنَّهُ قَرَأَهُ: «مُعَجِّزِينَ» بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ، بِغَيْرِ أَلْفٍ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عَجَّزُوا النَّاسَ وَتَبَطَّوهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ. ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ قِرَاءَتِهِ:

19157- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: مُعَجِّزِينَ قَالَ: مُبَطِّئِينَ، يَبْطِئُونَ النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنِي حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، مِثْلَهُ.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى وذلك أن من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره. وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطنون الناس عن الإيمان بالله واتباع رسوله ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحسبون أنهم يُعْجِزُونَهُ وَيُغْلِبُونَهُ، وَقَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ لَهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ ذَلِكَ مُعَاجِزَتَهُمْ اللَّهُ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمَصِيبُ الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ.

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز، ومعناه: مغالبة اثنين أحدهما صاحبه أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره.
وأما التعجيز: فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز. وقوله: أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات. ذكر من قال ذلك:

19158- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالوا: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: وَاللَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا بلغ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى عليه الشيطان كلمتين: «تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لتزجى»، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك قالوا: فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتريت على الله وقليت على الله ما لم يقل» فأوحى الله إليه: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، لَتَفْتِرِي عَلَيْنَا عَيْرَةٌ... إلى قوله: ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا. فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرتهم وقالوا: هم أحب إلينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.

19159- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد المدني، عن محمد بن كعب القرظي قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مبادئهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه. وكان يسره، مع حبه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما

عُلِّطَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، حِينَ حَدَّثَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ وَتَمَنَّى وَأَحْبَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَاللَّجْمَ إِذَا هَوَىٰ مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ اللَّهِ: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ، لَمَّا كَانَ يَحْدُثُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتَمَنَّى أَنْ يَأْتِيَ بِهِ قَوْمَهُ: «تِلْكَ الْغُرَانِيقُ الْعُلَىٰ، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ تُرْتَضَىٰ». فَلَمَّا سَمِعَتْ قَرِيشَ ذَلِكَ فَرَحُوا وَسَرَّهْمُ، وَأَعْجِبَهُمْ مَا ذَكَرَ بِهِ آلِهَتُهُمْ، فَأَصَاحُوا لَهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ مَصَدِّقُونَ نَبِيِّهِمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ، وَلَا يَتَهَمُونَهُ عَلَىٰ خَطِّ وَلَا وَهْمٍ وَلَا زَلِيلٍ. فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا وَخَتَمَ السُّورَةَ، سَجَدَ فِيهَا، فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِ نَبِيِّهِمْ، تَصَدِيقًا لِمَا جَاءَ بِهِ وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ، وَسَجَدَ مِنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ إِلَّا الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَسَجَدَ عَلَيْهَا. ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَتْ قَرِيشٌ وَقَدْ سَرَّهْمُ مَا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ، يَقُولُونَ: قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَقَدْ زَعَمَ فِيمَا يَتْلُو أَنَّهَا الْغُرَانِيقُ الْعُلَىٰ وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْتَضَىٰ وَبَلَّغَتْ السَّجْدَةَ مِنْ بَارِضِ الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: أَسْلَمَتْ قَرِيشٌ. فَنَهَضَتْ مِنْهُمْ رِجَالٌ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ. وَأَتَى جِبْرَائِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا صَنَعْتَ؟ لَقَدْ تَلَوْتَ عَلَى النَّاسِ مَا لَمْ أَتُكْ بِهِ عَنْ اللَّهِ، وَقُلْتَ مَا لَمْ يُقَلْ لَكَ فَحَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَخَافَ مِنَ اللَّهِ خَوْفًا كَبِيرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا يَعْزِيهِ وَيَخْفِضُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ تَمَنَّى كَمَا تَمَنَّى وَلَا أَحَبَّ كَمَا أَحَبَّ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ قَدْ أَلْقَى فِي أَمْنِيَّتِهِ كَمَا أَلْقَى عَلَىٰ لِسَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَسَخَ اللَّهُ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ وَأَحْكَمَ آيَاتِهِ، أَيَّ فَأَنْتَ كِبَعُضُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِلِرْسَلِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ... الآية. فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِ نَبِيِّهِ الْحَزْنَ، وَأَمَنَهُ مِنَ الَّذِي كَانَ يَخَافُ، وَنَسَخَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِهِ مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ أَنَّهَا الْغُرَانِيقُ الْعُلَىٰ وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْتَضَىٰ. يَقُولُ اللَّهُ حِينَ ذَكَرَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، إِلَى قَوْلِهِ: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَبْرُصَىٰ، أَيَّ فَكَيْفَ تَنْفَعُ شَفَاعَةُ آلِهَتِكُمْ عِنْدَهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ مَا نَسَخَ مَا كَانَ الشَّيْطَانُ أَلْقَى عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ، قَالَتْ قَرِيشٌ: نَدِمَ مُحَمَّدٌ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ مَنزِلَةِ آلِهَتِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَغَيَّرَ ذَلِكَ وَجَاءَ بِغَيْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ الْحَرْفَانِ اللَّذَانِ أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ قَدْ وَقَعَا فِي فَمِ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَازْدَادُوا شَرًّا إِلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ.

19160- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، قال: سمعت داود، عن أبي العالية، قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما جلساؤك عيد بني فلان ومولى بني فلان، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك، فإنه يأتيك أشرف العرب فإذا رأوا جلساءك أشرف قومك كان أرغب لهم فيك قال: فألقى الشيطان في أمنيته، فنزلت هذه الآية: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ قَالَ: فأجرى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهم ترجى، مثلهن لا ينسى». قال: فسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأها، وسجد معه المسلمون

والمشركون. فلما علم الذي أُجْرِي على لسانه، كبر ذلك عليه، فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... إلى قوله: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الإنجم فلما انتهى على هذه الآية: أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ فَأَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ: «وهي الغرانقة العلى، وشفاعتهن ترتجى». فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفاً من تراب وسجد عليه وقال: قد أن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن قريشاً قد أسلمت، فاشتدّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه، فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... إلى آخر الآية.

19161- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية: أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى». فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير فسجد المشركون معه، فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... إلى قوله: عَذَابَ يَوْمٍ عَقِيمٍ.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، ثم ذكر نحوه.

19162- حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ يَصَلِي، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ قِصَّةُ آلِهَةِ الْعَرَبِ، فَجَعَلَ يَتْلُوهَا فَسَمِعَهُ الْمَشْرِكُونَ فَقَالُوا: إِنَّا نَسْمَعُهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا بَخِيرٍ فَدَتُوا مِنْهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْلُوهَا وَهُوَ يَقُولُ: أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ: «إن تلك الغرائيق العلى، منها الشفاعة ترتجى». فجعل يتلوها، فنزل جبرائيل عليه السلام فنسخها، ثم قال له: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... إلى قوله: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

19163- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... الآية أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، أنزل الله عليه في آلهة العرب، فجعل يتلو اللات والعزى ويكثر ترديدها. فسمع أهل مكة نبي الله يذكر آلهتهم، ففرحوا بذلك، ودنوا يستمعون، فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم: «تلك الغرائيق العلى، منها

الشفاعة ترتجى». فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، فأنزل الله عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ... إِلَى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

19164- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أنه سئل عن قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... الآية، قال ابن شهاب: ثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، فلما بلغ: أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى قال: «إن شفاعتهم ترتجى». وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلقية المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه، وفرحوا بذلك، فقال لهم: «إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ». فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... حتى بلغ: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ.

فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ولا نبي محدث ليس بمرسل، إلا إذا تمنى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله «تمنى» في هذا الموضع، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثته نفسه من محبته مقارنة قومه في ذكر ألهتهم ببعض ما يحبون، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدث. ذكر من قال ذلك: 19165- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: إِذَا تَمَّي أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ يقول: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه.

19166- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: إِذَا تَمَّي قال: إذا قال. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19167- حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: إِلا إِذَا تَمَّي يعني بالتمني: التلاوة والقراءة.

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يَحْكُمُهَا، لَا شَكَّ أَنَّهَا آيَاتُ تَنْزِيلِهِ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي أَلْقَى فِيهِ الشَّيْطَانُ هُوَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَنَّهُ نَسَخَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَبْطَلَهُ ثُمَّ أَحْكَمَهُ بِنَسْخِهِ ذَلِكَ مِنْهُ.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم، وألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم. فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ يقول: تعالى فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله. كما:

19168- حدثني علي، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَيَبْطُلُ اللَّهُ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ.

19169- حدث عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قَيَّنَسُخُ اللّٰهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم, وأحكم الله آياته.

وقوله: ثُمَّ يُحَكِّمُ اللّٰهُ آيَاتِهِ يقول: ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل
الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه. وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بما يحدث في خلقه
من حدث, لا يخفى عليه منه شيء. حَكِيمٌ في تدبيره إياهم وصرفه لهم
فيما شاء وأحب.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} .
يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان, ثُمَّ يُحَكِّمُ اللّٰهُ آيَاتِهِ,
كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل, كقول النبي
صلى الله عليه وسلم: «تلك الغرانيق العلى, وإن شفاعتهن لترتجى». **فِتْنَةٌ**
يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق وذلك
الشك في صد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما يخبرهم به.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19170- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة:
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين,
فألقي الشيطان في أمنيته, فقال: «إن الآلهة التي تدعي أن شفاعتها
لترتجى وإنها للغرانيق العلى». فنسخ الله ذلك, وأحكم الله آياته:
أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْ سُلْطَانِ قَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا أَلْقَى
الشيطان ما ألقى, قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير ففرحوا
بذلك, فذكر قوله: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة,
بنحوه.

19171- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن
جُرَيْجٍ, في قوله: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يقول: وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله, فلا تلين ولا ترعوي, وهم
المشركون بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19172- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن
جُرَيْجٍ: والقاسية قُلُوبُهُمْ قال: المشركون.

وقوله: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ يقول تعالى ذكره: وإن مشركي
قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره, بعيد من الحق.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ قَبُومًا بِهِ فَتُحْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللّٰهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ} .

يقول تعالى ذكره: وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من
آياته التي أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقى الشيطان فيه, أنه الحق من

عند ربك يا محمد فَيُؤْمِنُوا بِهِ يَقُول: فَيَصَدِّقُوا بِهِ. فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ يَقُول: فتخضع للقرآن قلوبهم, وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه. وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَمُرْشِدُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْحَقِّ الْقَاصِدِ وَالْحَقِّ الْوَاضِحِ, بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله, فلا يضرهم كيد الشيطان وإلقاءه الباطل على لسان نبيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19173- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ قَالَ: يعني القرآن.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ} .

يقول تعالى ذكره: ولا يزال الذين كفرا بالله في شك.

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: «منه» من ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تلك الغرائق العلى, وإن شفاعتهن لترتجى». ذكر من قال ذلك:

19174- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: «تلك الغرائق العلى, وإن شفاعتهن لترتجى».

19175- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قَالَ: مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة.

وقال آخرون: بل هي من ذكر سجود النبي صلى الله عليه وسلم في النجم. ذكر من قال ذلك:

19176- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قَالَ: في مِرْيَةٍ مِنْ سَجُودِكَ.

وقال آخرون: بل هي من ذكر القرآن. ذكر من قال ذلك:

19177- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ قَالَ: من القرآن.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله: وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَقْرَبَ مِنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: فَيُنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَالْهَاءُ مِنْ قَوْلِهِ «أنه» من ذكر القرآن, فالحاق الهاء في قوله: فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ بِالْهَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَوْلَى مِنْ إِلْحَاقِهَا بـ «ما» التي في قوله: مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مَعَ بَعْدِ مَا بَيْنَهُمَا.

وقوله: حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ يَقُول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة بَغْتَةً وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة, يقول: فجأة. أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ.

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

19178- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا شيخ من أهل خراسان من الأزدي يكنى أبا ساسان, قال: سألت الضحاك, عن قوله: عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ قال: عذاب يوم لا ليلة بعده.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عكرمة. أن يوم القيامة لا ليلة له.

وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم, أنهم لم ينظروا إلى الليل, فكان لهم عقيما. ذكر من قال ذلك:

19179- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, عن ليث, عن مجاهد, قال: عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ يوم بدر.

19180- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح: أو يأتهم عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ قال ابن جريح: يوم ليس فيه ليلة, لم ينظروا إلى الليل. قال مجاهد: عذاب يوم عظيم.

قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, قال: قال مجاهد: يوم بدر.

19181- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو إدريس, قال: أخبرنا الأعمش, عن رجل, عن سعيد بن جبير, في قوله: عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ قال: يوم بدر.

19182- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ قال: هو يوم بدر. ذكره عن أبي بن كعب.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ قال: هو يوم بدر. عن أبي بن كعب.

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مربة منه حتى تأتيم الساعة بغته, أو تأتيم الساعة وذلك أن الساعة هي يوم القيامة, فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مَرَّتَيْنِ باختلاف الألفاظ, وذلك ما لا معنى له. فإذا كان ذلك كذلك, فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب, وهو ما ذكرناه في معناه.

فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مربة منه, حتى تأتيم الساعة بغته فيصيروا إلى العذاب الدائم, أو يأتيم عذاب يوم عقيم له فلا ينظروا فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء, لكنهم يقتلون قبل المساء.

الآية : 56 - 57

القول في تأويل قوله تعالى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا قَاُولِكُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: السلطان والملك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع وقد كان في الدنيا ملوك يدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه. يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يقول: يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين. فالذين آمنوا بهذا القرآن, وبمن أنزله, ومن جاء به, وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جَنَّاتِ النَّعِيمِ يومئذ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ, وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ كِتَابِهِ

وتنزيله, وقالوا: ليس ذلك من عند الله, إنما هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون فأولئك لهم عَذَابٌ مُّهِينٌ يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين, يعني عذاب مذل في جهنم.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا أوطانهم وعشائرتهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك, لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ يوم القيامة في جناته رِزْقًا حَسَنًا يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل. وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ يقول: وإن الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم, وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله, فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت, وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم, يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده. وقد:

19183- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن شريح, عن سلامان بن عامر قال: كان فضالة برودس أميراً على الأرباع, فخرج بجنازتي رجلين, أحدهما قتيل والآخر متوفي فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرتة, فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفي؟ (فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله. فقال) فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بُعثت اقرءوا قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا... إلى قوله: وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ}.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {لَيَدْخُلْنَهُمْ مَّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وذلك المدخل هو الجنة. وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عَرَضَ من عروض الدنيا. حَلِيمٌ عن عصاة خلقه, بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ}.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذَلِكَ لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله, ثم قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا, ولهم مع ذلك أيضاً أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم. كما:

19184- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ: ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ قال: هم المشركون بَعُثُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فوعده الله أن ينصره, وقال في القصص أيضاً.

وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون ذلك، وقاتلوهم فبعثوا عليهم، وثبت المسلمون لهم فأنصروا عليهم، فأنزل الله هذه الآية: ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ بَانَ بَدِيءَ الْقِتَالِ وَهُوَ لَهُ كَارِهِ، لَيْتَضَرَّتْهُ اللَّهُ. (وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ يقول تعالى ذكره: إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق، غفور لما فعل بباده بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} .
يعني تعالى ذكره بقوله: ذَلِكَ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي، لأنني القادر على ما أشاء. فمن قدرته أن الله يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ يقول: يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فما نقص من هذا زاد في هذا. وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا، وبالقدرة التي يَفْعَلُ ذَلِكَ ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم. وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شيء، بصير بما يعملون، لا يغيب عنه منه شيء، كل ذلك منه بمرأى ومسمع، وهو الحافظ لكل ذلك، حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} .
يعني تعالى ذكره بقوله ذَلِكَ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل لأنني أنا الحق الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ند، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إليها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع يقول لهم تعالى ذكره: أفنتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكل شيء دونه، وتعيدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله: وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ يعني بقوله: الْعَلِيُّ ذُو الْعُلُوِّ على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه. الْكَبِيرُ يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.

وكان ابن جرير يقول في قوله: وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ما: 19185. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جرير، في قوله: وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ قال: الشيطان. واختلفت القراء في قراءة قوله: وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ فقرأته عامة قراء العراق والحجاز: تَدْعُونَ بالتاء على وجه الخطاب وقراءته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر، والياء أعجب القراءتين إلي، لأن ابتداء الخبر على وجه الخطاب.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَعْنِي مطرا، فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً بِمَا يَنْبِت فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ. إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداء ما شاء أن يبتدعه. خَبِيرٌ بِمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ النَّبْتِ مِنَ الْحَبِّ وَبِهِ. قَالَ: فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ فَرَعًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ: أَلَمْ تَرَ وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ الْخَبْرَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَعْلَمَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ وَيُنْظِرُ ذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبِّعَ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُوهَلْ تُخْبِرُنَاكَ الْيَوْمَ بَيَدَاءِ سَمَلَقٍ
لأن معناه: قد سألته فنطق.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنِيِّ الْحَمِيدُ }.

يقول تعالى ذكره: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ هُمْ عِبِيدُهُ وَمَمَالِكُهُ وَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ وَهُمْ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، الْحَمِيدُ عِنْدَ عِبَادِهِ فِي إِفْضَالِهِ عَلَيْهِمْ وَأَيْدِيهِ عِنْدَهُمْ.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ، فَذَلِكَ كُلُّهُ لَكُمْ تَصَرَّفُونَهُ فِيمَا أَرَدْتُمْ مِنْ حَوَائِجِكُمْ. وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ يَقُولُ: وَسَخَّرَ لَكُمْ الْسُفْنَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، يَعْنِي بِقُدْرَتِهِ، وَتَذَلِيلِهِ إِيَّاهَا لَكُمْ كَذَلِكَ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فَقَرَأْتَهُ عَامَةً قِرَاءَةً الْأَمْصَارِ: وَالْفُلُوكَ نَصْبًا، بِمَعْنَى سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ، وَالْفُلُوكَ عَطْفًا عَلَى «مَا»، وَعَلَى تَكْرِيرِ «أَنْ» وَأَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي. وَرُوي عَنْ الْأَعْرَجِ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ رَفْعًا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ. وَالنَّصْبُ هُوَ الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ. وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ يَقُولُ: وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ بِقُدْرَتِهِ كَيْ لَا تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: أَنْ تَقَعَ: أَنْ لَا تَقَعَ. إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ بِمَعْنَى: أَنَّهُ بِهِمْ لِدُورِ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ فَمَنْ رَأْفَتَهُ بِهِمْ وَرَحْمَتَهُ لَهُمْ أَمْسَكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ.

الآية : 66 - 67

القول في تأويل قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ * لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَارِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميئتمكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حُسن خلقه إياه، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرِّ والبحر، وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الألهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له. وقوله: لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك، جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه وقضاء فرائضي وعملاً يلزمونه. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل وبألفه لخير أو شرّ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه وبألفه لخير أو شرّ. وإنما سميت مناسك الحجّ بذلك، لتردّد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحجّ والعُمرّة. وفيه لغتان: «مَنَسِكٌ» بكسر السين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و«مَنَسِكٌ» بفتح الميم والسين جميعا، وذلك من لغة أسد. وقد قرري باللغتين جميعا. وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا: أي المناسك عني به؟ فقال بعضهم: عني به: عيدهم الذي يعتادونه. ذكر من قال ذلك:

19186- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ يقول: عيداً. وقال آخرون: عني به ذبح يذبحونه ودم يهريقونه. ذكر من قال ذلك: 19187- حدثني أبو كريّب، قال: حدثنا ابن يمان، قال: حدثنا ابن جُرَيْج، عن مجاهد، في قوله: لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ قال: إراقة الدم بمكة.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: هُمْ نَاسِكُوهُ قال: إهراق دماء الهدى. 19188- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: مَنَسَكًا قال: ذبحا وحجّا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمنى لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت إراقة الدم في هذه الأيام، عليّ أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا ولذلك قلنا: عني بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا.

وقوله: فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَلَا يُنَازِعُكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ فِي ذَبْحِكَ وَمَنَسِكَ بِقَوْلِهِمْ: أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ، وَلَا تَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ الَّتِي قَتَلَهَا اللَّهُ؟ فَأَنْتَ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُمْ، لِأَنَّكَ مُحَقٌّ وَهُمْ مُبْطَلُونَ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19189- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: **قَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ** قال: الذبح.
19190- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: **قَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ** فلا تتحام لحملك.

وقوله: **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ** يقول تعالى ذكره: **وَادْعُ** يا محمد منازعك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله, وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرءوا منها, إنك لعلی طریق مستقیم غیر زائل عن مجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك, وهم الضلال على قصد السبيل, لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعهم وعبادتهم الآلهة.

الآية : 68 - 69

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }**.
يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: **وَإِنْ جَادَلُوكَ** يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك, فقيل: **اللَّهُ أَعْلَمُ** بما تعملون ونعمل. كما:

19191- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: **وَإِنْ جَادَلُوكَ** قال: قول أهل الشرك: **أَمَا مَا ذَبَحَ اللَّهُ** بيمينه. **فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ** بما تعملون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم.
وقوله: **اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** فيما كنتم فيه **تَخْتَلِفُونَ** يقول تعالى ذكره: **وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون, فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: **{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }**.
يقول تعالى ذكره: **أَلَمْ تَعْلَمْ** يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع والأرضين السبع, لا يخفى عليه من ذلك شيء, وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة, على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا, فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته. **إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ** يقول تعالى ذكره: **إِنَّ عِلْمَهُ** بذلك في كتاب, وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة. **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**. كما:

19192- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ميسر بن إسماعيل الحلبي, عن الأوزاعي, عن عبيدة بن أبي ليابة, قال: علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون, ثم كتبه, ثم قال لنبية: **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** **إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ** **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**.

19193- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني ميسر, عن أرطاة بن المنذر, قال: سمعت صمرة بن حبيب يقول: **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى عَرْشِهِ عَلَى الْمَاءِ**, وخلق السموات والأرض بالحق, وخلق القلم فكتب به ما

هو كائن من خلقه, ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجّده ألف عام, قبل أن يبدأ شيئاً من الخلق.

19194_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني معتمر بن سليمان, عن أبيه, عن سيار, عن ابن عباس, أنه سأل كعب الأحمار عن أم الكتاب, فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون, فقال لعلمه: كُن كتاباً.

وكان ابن جريج يقول في قوله: إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مَا: 19195_ حدثنا به القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ قَالَ: قوله: اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك, لأن قوله: إِنَّ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: أَلَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ: اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ, فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه أولى منه بما بعد.

وقوله: إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ اختلف في ذلك, فقال بعضهم: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير. ذكر من قال ذلك:

19196_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قَالَ: حكمه يوم القيامة, ثم قال بين ذلك: أَلَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك, وذلك أن قوله: إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ... إلى قوله: أَلَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بَيْنَهُمَا فَالْحَاقَهُ بِمَا هُوَ أَقْرَبَ أَوْلَى مَا وَجَدَ لِلْكَلَامِ, وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ تَصِيرٍ}.

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جلاً ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله, بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدها, بأن الله أذن لهم في عبادتها, وما ليس لهم به علم أنها آلهة. وما للظالمين من تصير يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة, فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ تَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ دَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ مِمَّنْ بَشَرٌ}.

يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على مشركي قريش العابدین من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً آياتنا يعني: آيات القرآن, بَيِّنَاتٍ يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ

يقول: تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها، لسماعهم بالقرآن.

وقوله: يَكَاذُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَقُولُ: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ويُتلى عليهم. ونحو ما قلنا في تأويل قوله يَسْطُونَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19197- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: يَكَاذُونَ يَسْطُونَ يقول: يبطشون.

19198- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَكَاذُونَ يَسْطُونَ يقول: يقعون بمن ذكرهم.

19199- حدثنا محمد بن عمار، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: يَكَاذُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قال: يكادون يقعون بهم.

19200- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: يَكَاذُونَ يَسْطُونَ قال: يبطشون كفار قريش.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19201- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَكَاذُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يقول: يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذاً.

وقوله: قُلْ أَفَاتَّبِعُكُمْ بِشْرٍ مِنْ دَلِكُمْ يَقُولُ: أفأنتمكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكفرون قراءتهم القرآن عليكم، هي النار وعدّها الله الذين كفروا. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول: إن المشركين قالوا: والله إن محمداً وأصحابه لشتر خلق الله فقال الله لهم: قل أفأنتمكم أيها القائلون هذا القول بشراً من محمد صلى الله عليه وسلم؟ أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار. ورفعت «النار» على الابتداء، ولأنها معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشتر وهو نكرة، كما يقال: مررت برجلين: أخوك وأبوك، ولو كانت مخفوضة كان جائزاً وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدّها وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها. يقول تعالى ذكره: فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه.

وقوله: وَيَسْأَلُ الْمَصِيرُ يَقُولُ: ويسأل المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة.

الآية : 73- 74

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّاسُ صُزْبًا مَثَلُ فَاِسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ صَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر. ومعنى «ضرب» في هذا الموضوع: «جعل» من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الحزبة على النصاري، بمعنى جَعَلَ ذلك عليهم والمَثَل: الشَّبَه، يقول جل ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشبّه والمَثَل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبهاً، فعبدوها معي وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا له يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه في عبادتهم إياه شبهاً وصفته. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا يَقُول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذباباً في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أدبه وفي الكثير ذبان، نظير غراب يجمع في القلة أغربة وفي الكثرة غربان.

وقوله: وَإِنْ يَسْأَلُكَ الذَّبَابُ شَيْئًا يَقُول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئاً مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

واختلف في معنى قوله: صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ فقال بعضهم: عني بالطالب: الآلهة، وبالمطلوب: الذباب. ذكر من قال ذلك: 19202. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حجاج، عن ابن جريج، قال ابن عباس، في قوله: صَعَفَ الطَّالِبُ قَالَ: آلهتهم. وَالْمَطْلُوبُ: الذباب.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: صَعَفَ الطَّالِبُ من بني آدم إلى الصنم حاجته، وَالْمَطْلُوبُ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأل، يقول: ضعف عن ذلك وعجز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه والمطلوب: الذباب.

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب فإن يكون ذلك خيراً عما هو به متصل أشبهه من أن يكون خيراً عما هو عنه منقطع. وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقرّيعاً منه بذلك عبديتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السموات والأرض ومالكٌ جميع ذلك، والمحيي من أردت والمميت ما أردت ومن أردت. إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

وقوله: ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ يَقُول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكاً في العبادة حَقَّ عظمته حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حَقَّ معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصَّر بحقه وهم يريدون تعظيمه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 19203. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ يَسْأَلُكَ الذَّبَابُ شَيْئًا... إلى آخر الآية، قال: هذا مثل ضربه الله

لأهتهم. وقرأ: **صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ** يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه.
 وقوله: **إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنْ صَغِيرٍ** ما يشاء من خلقه وكبيره. **عَزِيزٌ يَقُولُ: مَنِيْعٌ فِي مُلْكِهِ لَا يَقْدِرُ شَيْءٌ دُونَهُ** أن يسلبه من ملكه شيئاً، وليس كآهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب ولا على الامتناع من الذباب إذا استلبها شيئاً ضعفاً ومهانة.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}**.
 يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رسلاً كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. ومعنى الكلام: الله يصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس أيضاً رسلاً. وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إليّ وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة.
 وقوله: **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لَمَّا يَقُولُ الْمَشْرِكُونَ** في محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى: **{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}**.
 يقول تعالى ذكره: الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قيل أن يخلقهم وما خلفهم، يقول: ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. وإلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**.
 يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ارْكَعُوا لله في صلاتكم وَاَسْجُدُوا له فيها وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ يقول: وذلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ الذي أمركم بركم بفعله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طلباتكم عند ربكم.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}**.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** فقال بعضهم: معناه: **وجاهدوا المشركين في سبيل الله حقَّ جهاده**. ذكر من قال ذلك:

19204- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن عبد الله بن عباس، في قوله: **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** كما جاهدتم أول مرة فقال عمر: من أمر بالجهاد؟ قال: قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس. فقال عمر: صدقت. وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تخافوا في الله لومة لائم. قالوا: وذلك هو حقَّ الجهاد. ذكر من قال ذلك:

19205- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله: **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** لا تخافوا في الله لومة لائم.

وقال آخرون: معنى ذلك: **اعملوا بالحقَّ حقَّ عمله**. وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر.

والصواب من القول في ذلك: قول من قال: **عنى به الجهاد في سبيل الله لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله. وحقَّ الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه.** وقوله: **هُوَ اجْتَبَاكُمْ** يقول: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله وقال ابن زيد في ذلك، ما:

19206- حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **هُوَ اجْتَبَاكُمْ** قال: هو هداكم.

وقوله: **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** يقول تعالى ذكره: وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتكم به فيه بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19207- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن زيد، عن ابن شهاب، قال: سألت عبد الملك بن مروان علي بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية: **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** فقال علي بن عبد الله: **الحرَج: الضيق، فجعل الله الكفارات مخرجا من ذلك، سمعت ابن عباس يقول ذلك.**

19208- قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يُسأل عن: **مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**، قال: ما هنا من هُدَيْل أحد؟ فقال رجل: نعم، قال: ما تعدُّون الحرَجَ فيكم؟ قال: **الشيء الضيق**. قال ابن عباس: فهو كذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس، وذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال ابن عباس: **أها هنا أحد من هُدَيْل؟** فقال رجل: أنا، فقال أيضا: ما تعدُّون الحرَجَ؟ وسائر الحديث مثله.

19209- حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: حدثنا يحيى بن صالح، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن الحكم بن عبد الله، قال: سمعت القاسم

بن محمد يحدث, عن عائشة, قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَالَ: «هُوَ الضِّيقُ».

19210- حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا أبو خلدة, قال: قال لي أبو العالية: أتدري ما الحرج؟ قلت: لا أدري. قال: الضيق. وقرأ هذه الآية: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.
19211- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا حماد بن مسعدة, عن عوف, عن الحسن, في قوله: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَالَ: من ضيق.

19212- حدثنا عمرو بن بندق, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن أبي خلدة, قال: قال لي أبو العالية: هل تدري ما الحرج؟ قلت لا, قال: الضيق, إن الله لم يضيق عليكم, لم يجعل عليكم في الدين من حرج.
19213- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, عن ابن عون, عن القاسم أنه تلا هذه الآية: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ حَرَجٍ قَالَ: تدرؤن ما الحرج؟ قال: الضيق.

19214- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن يونس بن أبي إسحاق, عن أبيه, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: إذا تعاجم شيء من القرآن, فانظروا في الشعر, فإن الشعر عربي. ثم دعا ابن عباس أعرابياً, فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق. قال: صدقت
19215- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَالَ: من ضيق.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِنْ ضِيقٍ فِي أَوْقَاتٍ فَرَوْضَكُمْ إِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ, وَلَكِنَّهُ قَدْ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَيَقَّنُوا مَحَلَّهَا. ذكر من قال ذلك:

19216- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن عثمان بن بشار, عن ابن عباس, في قوله: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَالَ: هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس, وفي الحج إذا شكوا في الهلال, وفي الفطر والأضحى إذا التبس عليهم, وأشباهه.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما جعل في الإسلام من ضيق, بل وسعه. ذكر من قال ذلك:

19217- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ يَقُولُ: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق, هو واسع, وهو مثل قوله فِي الْأَنْعَامِ: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا يَقُولُ: من أراد أن يضلّه يضيق عليه صدره, حتى يجعل عليه الإسلام ضيقاً, والإسلام واسع.

19218- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ يَقُولُ: من ضيق, يقول: جعل الدين واسعاً ولم يجعله ضيقاً.

وقوله: **مِلَّةٌ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ** نصب ملة بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه، كملة أبيكم فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبت. وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكأنه قيل: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم). وقوله: **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** وفي هَذَا يقول تعالى ذكره: سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19219- حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** يقول: الله سماكم. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن ابن أبي رباح، أنه سمع ابن عباس يقول: الله سماكم المسلمين من قبل.

19220- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعا، عن معمر، عن قتادة: **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** قال: الله سماكم المسلمين من قبل.

19221- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** قال: الله سماكم.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

19222- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** يقول: الله سماكم المسلمين.

وقال آخرون: بل معنا: إبراهيم سماكم المسلمين وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ذكر من قال ذلك:

19223- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** قال: ألا ترى قول إبراهيم **وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ** قال: هذا قول إبراهيم **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ** ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة، ذكرت بالإيمان والإسلام جميعا، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان.

ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره: **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** وفي هَذَا ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن الله الذي لم يزل ولا يزال. وأما قوله: **مِنْ قَبْلُ** فإن معناه: من قبل نزول هذا القرآن في الكتب التي نزلت قبله. وفي هَذَا يقول: **وَفِي هَذَا الْكِتَابِ**.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
19224- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا،

عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
وفي هذا القرآن.

19225- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال
ابن جُرَيْج, قال مجاهد: مِنْ قَبْلُ قَالَ: فِي الْكُتُبِ كُلِّهَا وَالذِّكْرُ فِي هَذَا
يَعْنِي الْقُرْآنَ.

وقوله: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ
تعالى ذكره: اجْتَبَاكُمْ اللَّهُ وَسَمَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ، مِنْ أُمَّةٍ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمِينَ، لِيَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا أَنْتُمْ شُهَدَاءَ
حِينَئِذٍ عَلَى الرِّسَالِ أَجْمَعِينَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا أُمَّهَمَ مَا أُرْسِلُوا بِهِ إِلَيْهِمْ.
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

19226- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة:
هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ قَالَ: اللَّهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ.
وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ بِأَنَّهُ بَلَّغَكُمْ. وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ أَنْ رَسَلَهُمْ قَدْ بَلَّغْتَهُمْ.

19227- وبه عن قتادة, قال: أعطيت هذه الأمة ما لم يعطه إلا نبي, كان
يقال للنبي: اذهب فليس عليك حرج وقال الله: وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْكُمْ فِي
الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، وَكَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ شَهِيدٌ عَلَى
قَوْمِكَ وَقَالَ اللَّهُ لِيَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَكَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلْ تُعْطَهُ وَقَالَ اللَّهُ: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة,
قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي, كان يقال للنبي صلى الله
عليه وسلم: اذهب فليس عليك حرج فقال الله: وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْكُمْ فِي
الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَالَ: وَكَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ شَهِيدٌ
عَلَى قَوْمِكَ وَقَالَ اللَّهُ: لِيَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَكَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلْ تُعْطَهُ وَقَالَ اللَّهُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ.